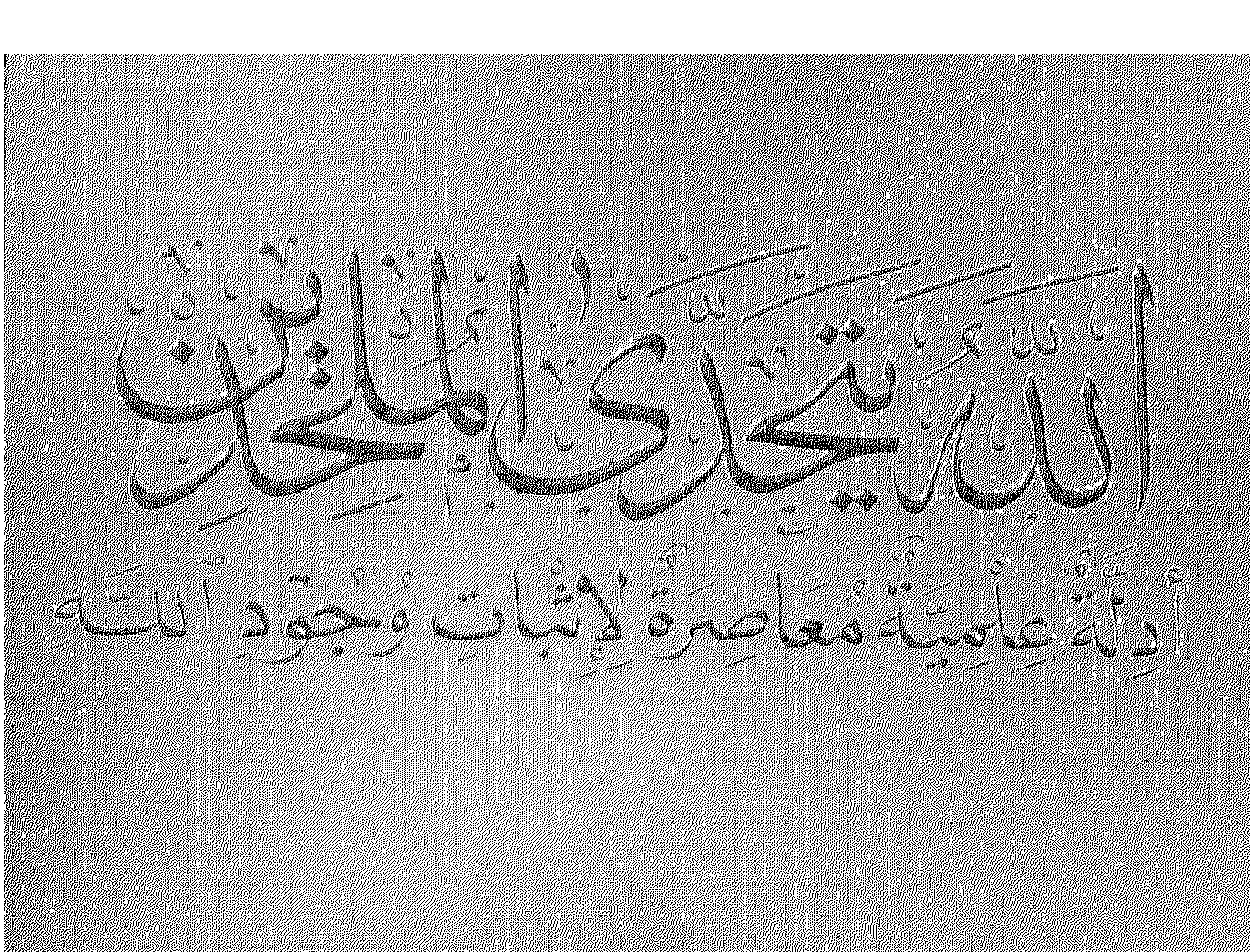
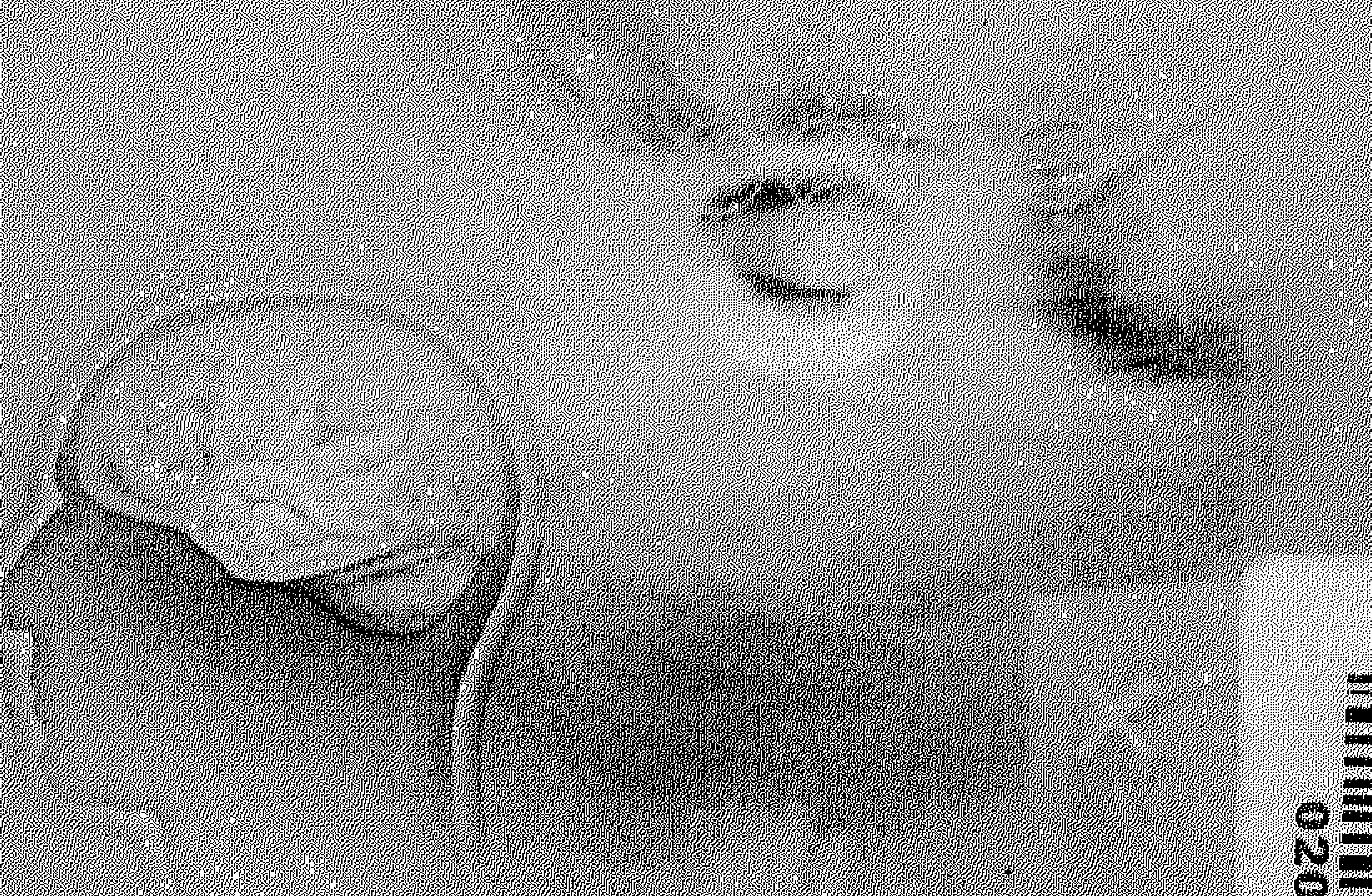
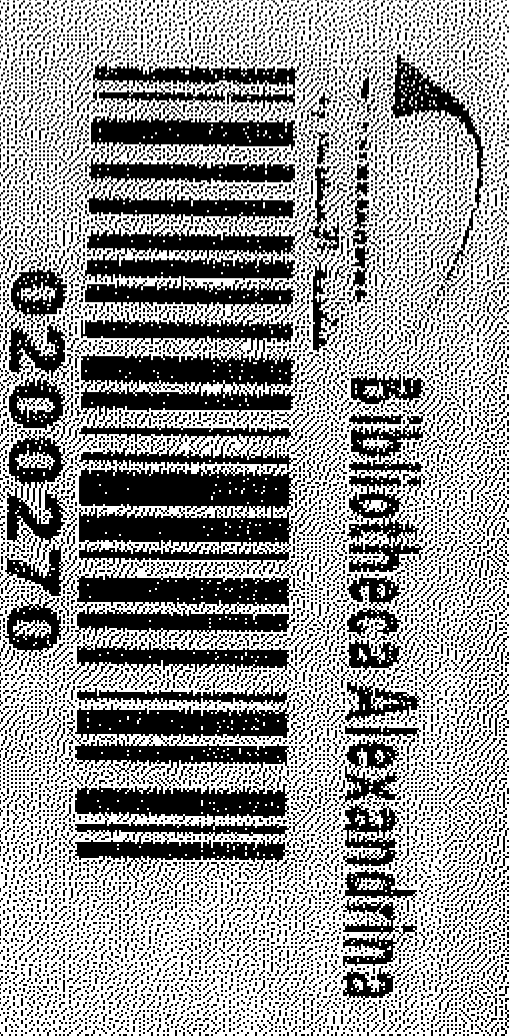


الله يتحدى الملحدين

أدلة علمية معاصرة لإثبات وجود الله



د. محمد شيخاني



اللهُ يتحدّى الملحدين

أدِلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ مُعاصِرَةٌ لإِثْبَاتِ وُجُودِ اللَّهِ

د. محمد شيخاني

دار قتيبة

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - هاتف : ٢٢٤٢٤٣٠ - ص.ب : ١٣٤١٤
بيروت - هاتف : ٨١٤٨٣٣ «٠٣» - ص.ب : ٦٣٦٤ / ١٤

إهـــداء

إلى الروح المؤمنة الطاهرة التي كان لها الدور

الأكبر في متابعتي للعلم والمعرفة ... أمّي ..

التي صعدت روحها إلى خالقها وهي تهلّل وتكبّر وتحمد

وتسبّح مبتسمةً للقدر راضيةً به .

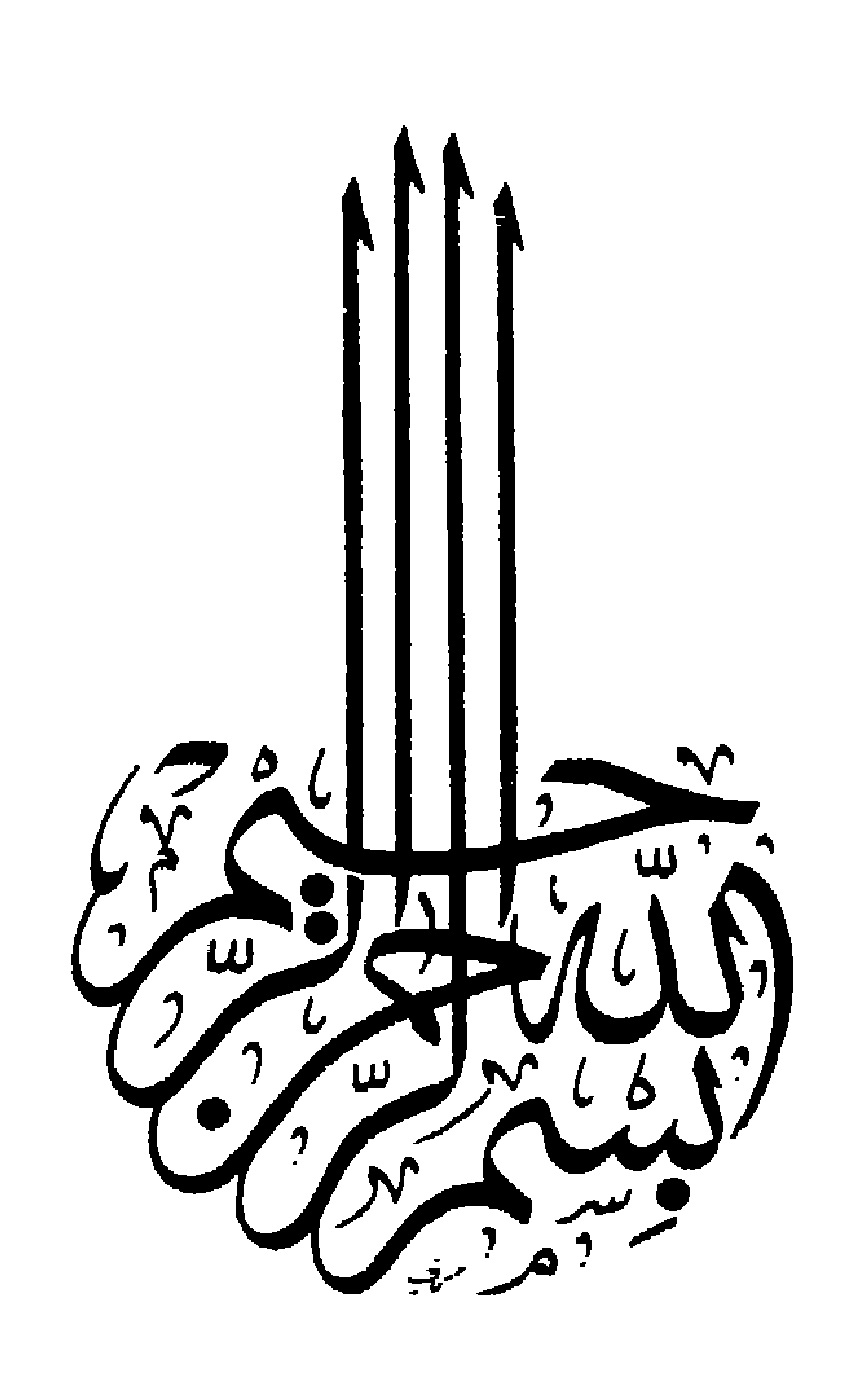
إلى روح والدي الذي عمل جاهداً طوال حياته

لسعادتي مع إخوتي بصبرٍ دؤوب ، وإخلاصٍ كبير ، والذي

لم ينسَ شيخه الذي ترك الغربة ليراه ويعيش معه ، والذي كان

يشجّعني دائماً لطلب العلم والمعرفة بابتسامته الحلوة ،

ونصائحه القيّمة ، وإيثاري على نفسه الكبيرة .



المدخل إلى البحث

الإنسان وجد فوق هذه الأرض بجسمه وعقله ولابد له أن يسأل نفسه من أوجده؟

الكون موجود ونرى منه الشمس والقمر والأرض والنجوم فمن أوجده؟ ويسير الإنسان فوق الأرض فيرى الجبال والأنهار والبحار والحيوانات والأسماك والطيور والنباتات والزهور والأشجار والثمار فيسأل نفسه من أوجدها؟

السؤال الأول من أوجد كل هذه الأشياء؟

الافتراض الأول وجدت بذاتها كما نراها وهذا جواب الماديين.

الافتراض الثاني الطبيعة أوجدت ذاتها بذاتها متطورة من الماء والطين والهواء والنار وهذا جواب الفلسفة القديمة والماركسيين. ؟

وبعد هذه الافتراضات يقف العقل البشري حائراً هل تكونت الخلية الحية العضوية من المادة غير عضوية؟

وبعد دراسات مخبرية وطبيعية توصل علماء البيولوجيا إلى أن المواد الحية لايمكن أن تتولد من مواد جامدة غير عضوية.

حتى إن بعض العلماء افترضوا هبوط مادة حية من أجرام سماوية إلى أرضنا شكلت الخلية الأولى ثم تطورت حتى كونت

هذا الإنسان العاقل وهم العلماء الذين يؤمنون بالنشوء والارتقاء الطبيعي عن طريق التولد الذاتي، وقامت ردود علمية بالدارونية الحديثة على نقض كل هذه الافتراضات.

وقال أوبرين وهو عالم سوفيتي: (إن جميع المحاولات التي أجريت لتوليد الحياة من المواد غير العضوية سواء تحت ظروف طبيعية أو مختبرية قد باءت بالفشل)[١].

وقال روستان[٢]: (إنه من المستحيل أن تشهد تشكل مواد عضوية مهما تكن بدائية اعتباراً من عناصر مادية رغم التزايد المستمر في الإمكانيات العلمية).

ويقف الإنسان حائراً أمام هذا الكون بكل مافيه من نظام دقيق، تشرق الشمس وتغيب، ويتحرى بُعد الشمس عن الأرض فيجد مسافة معيَّنة فلو زادت لتجمدت هذه الأرض ولو اقتربت لأحرقت كل شيء عليها.

ويرى القمر بأبعاده المتناسقة لو اقترب القمر من الأرض أميالاً لاختلت عملية المد والجزر.

ويرى قدرة الإنبات تسير بقوانين ويلمح العلماء ببحوثهم العلمية وقد توصلوا إلى قوانين ثابتة في النسبية والجاذبية

---

(١) ص ٩٦ من كتاب الإنسان لروستان.

(٢) كتاب الإنسان لروستان ص٩٩.

والميكانيكية، ويزداد عجباً من عظمة هذا الكـون بأجرامه وكواكبه ونجومه الكثيرة.

إن هذا النظام البديع، والجمـال البـارع، والتنويـع والتكـامل ليدله على شيء، ثم يبحث في ذاته فيرى أنه وجد في أجمـل صـورة وأبدع نظام.

الإنسان الكائن البديع في عيونـه وسـمعه، في أطرافـه وعقلـه وقلبه، في الخلايا العصبية، في وظـائف الغـدد المتنوعـة، لهـو اللغز المحير الذي يدلنا على صانع عظيم وهو الله الخالق لهذا الكون.

العقل البشري:

الإنسان عاقل يتميز عن جميع المخلوقات بعقله، وهو منـاط التكليف في الإسلام، وإن العقل البشري بما فيـه مـن خلايـا عديـدة ثابتة منذ الولادة حتى المـوت ليدل دلالـة علـى عظمـة الموجـد لهـذا العقل الذي حير علماء البيولوجيـا في تعقيداتـه مـع الجهـاز العصبـي المرتبط بالدماغ عـن طريق خلايا تزيـد عـن ١٤ مليـار خليـة تعمـل بشكل إرادي وغـير إرادي لتنظيـم الحيـاة في الإنسـان وللتـوازن بـين أعضـاء الإنسـان في القلـب والأذن والعـين والعضـلات والجهـاز الهضمي والجنسي وغيره.

هل الكون له بداية؟

الكون مادام فيه حرارة نابعة من طاقة فهذا يدل علـى أن هـذا

الكون ليس أزلياً، حسب قوانين الديناميكا الحرارية التي تدل على مكونات هذا الكون التي تفقد حرارتها تدريجياً، وقوانين الحركة الألكترونية تدل على أن الشيء الدائر لابد أن تكون له نقطة بداية زمانية ومكانية بدأ منها دورته، ولما كانت الإلكترونات والأجرام كلها في حركة دائرية فإذن لابد أن تكون هناك بداية زمانية ومكانية للحركة في هذا الكون.

وقديماً قالوا إن العرَض لايقوم إلا في جوهر فالحرارة عرَض. والذرة جوهر والجسم جوهر والصحة والمرض عرَض، فإذا كان كل عرَض حادث وكذلك كل جوهر حادث وهذا يدلنا على أن لهذا الكون بداية.

نظرية التسلسل

كل حادث له محدث فإذا كان هذا الكون حادثاً فلا بد له من محدث قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[1].

إن هذا الكون له واجب الوجود ووجوده ذاتي لا لعارض منحه إياه، بل هو الذي أعطى الممكنات وجودها، وإذا قلت فمن أوجد الله؟ فهذا يؤدي إلى سلسلة من الآلهة خلق بعضها بعضاً إلى أن تصل إلى الله الموجود بذاته يصدر عنه الوجود ولايفتقر لغيره

---

(١) الطور/ ٣٥-٣٦.

قال تعالى : ﴿هو الأول والآخر﴾ وإذا أردنا الحوار في هذه النقطة فيجب أن نعلم أن عقل الإنسان محدود ، وحسب نظرية النقطة لاتحيط بالدائرة ، والإنسان في هذه الأرض كنقطة وهو في هذا الكون أقل من النقطة فكيف يحيط الجزء بالكل ليعلم ماوراء الكل . والله من ورائهم محيط وهو المحيط بالكل ، نؤمن به ولانفكر في ذاته ؛ لأن قدرتنا العقلية لم تستطع معرفة العملية الدماغية ، فكيف نصل إلى معرفة ذات الله؟ ولذلك قال رسول الله ﷺ : «تفكروا بآلاء الله ولاتفكروا بالله فتضلوا» .

ومثال آخر إذا وضعت كتاباً على منضدة ثم ذهبت ، وبعد عودتك وجدته على الأرض فإنك تقول إن شخصاً ما قد غير مكانه . وإذا رأيت إنساناً جالساً على كرسي وبعد فترة وجدته قد جلس على الأرض فلن تسأل نفسك من أجلسه على الأرض لأن قدرته ذاتية في الحركة ، وهذا الكون الحادث له خالق وقدرة الخالق ذاتية وله صفات أثبتها العقل والنقل بأنه لايحتاج إلى غيره ، ولاتطرأ عليه الحوادث فهو الإله الخالق الذي أرسل رسله وكتبه ليوضح للناس حقائق فوق العقل والتصورات الفكرية الخاصة ، فلابد من التسليم مع مناقشة صدق الأنبياء والرسل والكتب التي جاؤوا بها ثم التسليم بما فيها حول صفات الله عز وجل .

بطلان الرجحان بدون مرجح

الكون كله بما فيه قد وجد بعد أن كان عدماً، فهل يعقل أن يتم وجوده بلا قوة خارجية مؤثرة حولته من العدم إلى الوجود؟ فقوة العدم كانت هي الراجحة وانعكس الأمر فصار العدم موجوداً فترجحت كفة الوجود على كفة العدم، فإن قلت إن الكون وجد بقوة ذاتية فيه دون حاجة إلى موجد فمعنى ذلك أنك تقول برجحان كفة الوجود على كفة العدم وانعكاس الأمر الذي كان مستمراً دون وجود أي عامل لهذا الرجحان أو الانعكاس الطارئ وهذا يعرف الإنسان بطلانه.

ولذا لابد من قوة أوجدت ورجحت الوجود على العدم وهي قوة الخلق من الله عز وجل.

دليل الإبداع والتناسق والنظام

الشمس في غروبها وشروقها، والقمر في إشراقياته بدراً أو هلالاً، الشجر، والأزهار، الصخور والأنهار، والبحار، والأرض في دورتها، والحيوانات والطيور في تنوعها والأسماك والنجوم والفراشات والنحل والإنسان في عقله وبصره وسمعه وخلاياه وأجَهزته المنظمة لدورة الحياة فيه.

كل هذا التناسق والنظام يدل على خالق عظيم مدبر

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[1] ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2].

وهل يعقل أن ملايين الخلايا في نظام الجسم المتناسقة كل واحدة تعمل ضمن خطة وضعت لها بدون خالق مبدع حكيم.

فجهاز الكومبيوتر المصنوع من أجهزته صممه مهندس، والساعة أبدعها صانع، والسيارة ابتكرها وطورها عقل بشري ذكي قادر، وهذا الكون بنظامه وعظمته وجد صدفة بتولد ذاتي فهل هذا يعقل؟!!

قال الله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[3] إن القوانين الفيزيائية والكيميائية والرياضية، كلها لتدل على أن هذا الكون فيه نظام مبرمج، له غايات دقيقة ضمن مسارات مشاهدة وغير مشاهدة. وهل يمكن أن يكون النظام ناتجاً من الفوضى أو العبثية أو المصادفة؟ وتكامل دورة الحياة، وتعاون وجود النبات والحيوان والإنسان، والاستفادة من الليل والنهار والشمس والقمر والماء والهواء والأوكسجين والنار، كلها لتدل على أن قدرة عظيمة أوجدت كل هذا النظام، وكل شيء يدل على وجود قوة عظيمة أوجدت هذا الكون بكليته قال الله تعالى: ﴿سنة

---

(١) السجدة/ ٧.

(٢) البقرة/ ١١٧.

(٣) الذاريات: ٢١ - ٢١.

الله ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ .

قانون السببية

إن هذا الكون هو حادث ولابد له من محدث فالشمس والقمر يجريان ، والإنسان وجد ، والحيوانات والنباتات كائنات ملموسة ، فهل هناك احتمال لقدم هذه الأشياء وحركتها ووجودها أو لها سبب في إبداعها وإيجادها وحركتها .

والإنسان بما فيه من نظام معقد في خلايا دماغه وجهازه الهضمي والدموي والتنفسي والتناسلي والعصبي والعظمي والقلب والرئة والكلية والكبد والطحال والغدد . ألا يدل كل مافي الوجود على قدرة خالقه عالمة حكيمة أوجدت كل هذه الأنظمة في جسم الإنسان والحيوان والنبات والشمس والقمر .

قال آنا كساغورس : (من المستحيل على قوة عمياء (الطبيعة) أن تبدع هذا الجمال وهذا النظام اللذين يتجليان في هذا العالم ، لأن القوة العمياء لاتنتج إلا الفوضى ، فالذي يحرك المادة هو عقل ، رشيد ، بصير ، حكيم)[1] .

وأفلاطون يقول : (إن العالم آية في الجمال والنظام ، ولايمكن أبداً أن يكون هذا نتيجة علل اتفاقية بل هو صنع عاقل

---

(١) قصة الإيمان ص ٢٩ .

كامل توخى الخير ورتب كل شيء عن قصد وحكمة)[1].

ديكارت يقول: (أنا موجود، فمن أوجدني ومن خلقني؟ إنني لم أخلق نفسي، فلابد لي من خالق، وهذا الخالق لابد أن يكون (واجب الوجود) وغير مفتقر إلى من يوجده أو يحفظ له وجوده، ولابد أن يكون متصفاً بكل صفات الكمال وهذا الخالق هو الله بارئ كل شيء)[2].

قال الله تعالى: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾.

---

(١) نفس المصدر.

(٢) قصة الإيمان ص١٠٩.

القرآن العظيم دليل على وجود الله

القرآن الكريم كتاب أنزل من لدن حكيم خبير يبدأ بالفاتحة وينتهي بسورة الناس، يحتوي هذا القرآن العظيم على أمور علمية وفكرية ونفسية لايمكن لأي طاقة بشرية أن تحيط بكل مافيه إيجاداً وتنسيقاً.

الإعجاز اللغوي

تحدى القرآن الكريم العرب أن يأتوا بمثل هذا القرآن ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة ولم يستطع العرب المشهورون بالفصاحة أن يفعلوا ذلك بل أقروا بأنه منهج متفرد، ولغة عالية، وأسلوب بديع، وآمن الجميع به وبقي التحدي حتى هذا القرن، ولم تستطع قدرة البشر الإتيان بمثله نظماً وفكراً وعقيدة وعلماً، وفصاحة وبلاغة.

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾[1] وقال الرافعي: (فالحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه، لأنه ممسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الأخرى، وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازاً

---

(١) الإسراء/ ٨٨.

أبدياً، فهو أمر فوق طبيعته الإنسانية، وفوق مايتسبب إليه الإنسان، إذ هو يشبه الخلق الحي تمام المشابهة، وماأنزله إلا الذي يعلم السر في السموات والأرض)[٢] فهذا القرآن منهج بديع، وفيه الجزالة، والتفنن في التصرف بالأخبار وترتيب الفعل وتعبيره عن النهي والأمر، والإبداع أعلى سمة لهذا الإنسان وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣].

وكما عمل على رفض التقليد الأعمى شن القرآن حملة عنيفة على الجمود والتقليد في كل صوره قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾[٤].

وقال العلامة ابن الجوزي: (في التقليد إبطال منفعة العقل، فقد خلق للتدبر والتأمل، وقبيح بمن أعطي شمعة أن يطفئها ويمشي في الظلمة!

وفي مسيرته العظمى رفض التبعية للسادة والكبراء، وإنما يجب على المرء أن يعمل فكره للوصول إلى الحق ولاتهمه روح القطيع، والرأي العام السائد إن كان فيه ضلال، وقال الله تعالى بحق هؤلاء

---

(٢) في إعجاز القرآن ص٢٤٠.

(٣) هود/ ٤٤.

(٤) المائدة/ ١٠٤.

الذيـن تـاهوا في التيـار العـام وقـالوا ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾[1].

وهكذا نجد أن القرآن أمر بالتعبد بالتفكير العقلي والعلمي قال الله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾[2].

وقال تعالى في النظر العقلي والاستقراء والتحليل: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ...﴾[3].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾[5].

---

(١) الأحزاب/ ٦٧.

(٢) الطارق/ ٥ ـ ٨.

(٣) عبس/ ٢٤.

(٤) الغاشية/ ١٧ ـ ٢٠.

(٥) ق/ ٦ ـ ٨.

وقال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾[2].

وهكذا نجد أن القرآن يطلب البرهان في حال الجدال: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[3].

والباحث في كتاب الله عزَّ وجلَّ يجد أن في القرآن خمساً وثلاثين آية تأمر بالنظر فيما يتعلم منه الإنسان، وأكثر من خمسين آية تدعو إلى النظر وطلب السير في الأرض للاكتشاف والتعلم والتدبر، وأن آيات العلم قد تكررت في القرآن أكثر من ١٦٠ مرة وفيه ٧٥٠ آية كونية علمية.

فهذا القرآن العظيم بما فيه من أحكام وأوامر ونواه وقصص وأخبار وإشارات علمية عامة عن عظمة هذا الكون ونظامه في مسيرته الدائمة. وقد أشار العلماء بأن القرآن العظيم لم يخالف أي حقيقة علمية أثبتها العلم الحديث وذلك بإشارات عمومية يمكن تأويلها من العلماء المختصين، فهو دليل على أن الذي أنزله على

---

(١) يونس/ ١٠١.

(٢) الأعراف/ ١٨٥.

(٣) النمل/ ٦٤.

محمد ﷺ هو خالق الكون والذي يعلم كل مافيه .

كما أوجد نظاماً تشريعياً حكيماً يتلاءم مع الفطرة البشرية في التوسط والاعتدال وحركة الحياة ليصل الإنسان إلى سعادة الدنيا والآخرة .

وقد احتوى القرآن إجمالاً كل ماجاء في الكتب السابقة من ذكر للأنبياء وسيرتهم مع أقوامهم . وتم كل ذلك لتحقيق غاية واحدة وهي الدعوة إلى التوحيد بل أكد أن كل الأنبياء من آدم عليه السلام حتى محمد ﷺ كلهم أسلموا وجوههم لله الواحد القهار .

ولايقبل العقل البشري مقولة المبشرين والمستشرقين بأن القرآن العظيم من وضع محمد ﷺ لأن ماجاء فيه يتخطى القدرات البشرية ومجمل العلوم التي كانت في عصره ، ولذا كان دور محمد ﷺ هو التبليغ والبيان والدعوة إليه ، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ . . ﴾[1] .

الإعجاز الفكري

القرآن العظيم كتاب الفكر الأعظم حيث ذكر العلم والتفكر والتدبر في مواضع كثيرة ، قال الله تعالى : ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ .

---

(١) الكهف/ ١١٠ .

وقال الله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾.

وقال الله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم﴾.

قال الدكتور موريس بوكاي: (إن القرآن أفضل كتاب أخرجته العناية الأزلية لبني البشر وإنه كتاب لاريب فيه).

ويقول آلكس لوازون: (خلف محمد للعالم كتاباً هو آية البلاغة، وسجل الأخلاق، وهو كتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثاً أو المكتشفات الحديثة مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية).

أما واشنطن إيروفينج يقول: (يحوي القرآن أسمى المبادئ وأكثرها فائدة وإخلاصاً).

ويقول جوته: (إن تعاليم القرآن عملية ومطابقة للحاجات الفكرية) وإن عظمة القرآن تبدو لنا في تكوين العقلية العلمية، بإيجاد البيئة والمناخ الفكري والنفسي التي تهيِّئ للعقول أن تفكر، وللأفكار أن تتفتح، وللآراء أن تناقش، ولصاحب الحجة أن يدلي بحجته، وهكذا يعمل القرآن بدعوته الكلية لرفض العقلية المقلدة

والعقلية الخرافية، وذلك بالرفض المطلق لكل ظني وقبول التعيين قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[1].

كما دعا القرآن للوصول إلى الحق: ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾[2] وذلك بالاستقراء العلمي الكامل والمعرفة، والسير في الأرض، ومعرفة آثار تاريخ الأمم.

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

إن العلم الحديث اكتشف حقائق أثبتها القرآن ومنها أن الماء أصل الحياة وأن الكائنات الحية كلها مخلوقة من الماء، وثلث الكرة الأرضية من الماء، و٧٠٪ من جسم الإنسان من الماء قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾[4].

الزوجية في كل شيء

وهي ظاهرة كونية واضحة في الذكر والأنثى في الإنسان

---

(١) يونس/ ٣٦.

(٢) ص/ ٢٦.

(٣) الأنبياء/ ٣٠.

(٤) النور/ ٤٥.

والحيوان والنبات حتى السحاب والذرة قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

الجنين وتطوره:

يلتقي تفصيل كل ماجاء في القرآن مع إجماع ماشهد به كبار الأطباء وعلماء الأجنة قال الله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾.

الشمس والقمر:

الشمس كرة هائلة من الغازات الملتهبة تبلغ درجة حرارة سطحها ٦٠٠٠ درجة مئوية وقطرها أكثر من مليون كيلومتر، ومحيطها أكبر من محيط الأرض بـ ٣٢٥ مرة، وثقلها أثقل من الأرض بـ ٣٣٢ ألف مرة، وقطرها أكبر من قطر الأرض بـ ١٠٩ مرة، تبعد عن الأرض ٩٣ مليون ميل، وجوفها مركز هائل من مراكز توليد الطاقة، وأما في داخلها فتبلغ درجة الحرارة ٤٠ مليون درجة عند المركز. والشمس تجري إلى نجم كبير اسمه الجاثي قال

---

(١) يس/ ٣٦.

(٢) الذاريات/ ٤٩.

تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[1]

القمر:

أقرب الأجرام السماوية إلى الأرض وأقلها حجماً، ويكمل دورته حول نفسه في تسعة وعشرين إلى ثلاثين يوماً تقريباً.

ويبعد القمر عن الأرض بمقدار (٢٤٠) ألف ميل، والجاذبية فيه وفي الشمس تسببان المد والجزر في البحيرات والبحار.. ويتكون من سلاسل جبلية قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[2] وقال أيضاً: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾[3] والشمس تعكس أشعتها على القمر ويشكل الهلال ثم يكبر حتى يبلغ في نصف الشهر القمري بدراً كاملاً ويبدأ بالتناقص مرة أخرى حتى يعود كالعرجون القديم وهذا وصف القرآن العظيم لهذا المخلوق العظيم.

والكون فيه مجموعات هائلة من المجرات بلغت مليارات الكواكب والنجوم والأقمار كلها تسبح في هذا الكون.

ويقال إن عدد المجرات كبير إلى حد لم تستطع المعارف الحديثة الإحاطة بأعدادها وجاء في بعض كتب الفلك لو أن مساحة

---

(١) يس/ ٣٨.

(٢) نوح/ ١٦.

(٣) الفرقان/ ٦١.

بريطانيا وعلى عمق مئات الكيلومترات كانت رمالاً لكان عدد النجوم في السماء أكثر منها . .

وكل يوم يكتشف علماء الفلك والأرصاد أسماء جديدة لمجرات ترسل أشعتها من ملايين السنين ولم تصل إلينا أشعتها بعد ولاترى إلا بالمكبرات الضخمة وفي الأقمار الصناعية المرسلة لدراسات الكون .

نشوء الأرض:

حجم الأرض يعادل مليار كم^{٣}، وتبلغ مساحتها ٢١٠ مليون كم^{٢} منها ٧١٪ مياه و٢٩٪ يابسة، متوسط بعدها عن الشمس ١٥٠ مليون كم، وهي أصغر من حجم الشمس بـ ١,٣ مليون مرة وتحدد عمر الأرض بـ ٤,٥ ـ ٦ مليار سنة، وتبتعد عن القمر ٢٤٠ ألف ميل، وتدور الأرض حول نفسها بسرعة ألف ميل في الساعة، والفرضية بنشوء الأرض حسب نظرية لابلاس، وذلك بوجود غيمة غازية تدور حول محورها ثم تقلصت بتأثير الجاذبية على شكل كرة مفلطحة وبسبب القوة النابذة تكثفت إلى سيار تسبح حول الشمس .

وهناك فرضية النجم العابر، وأثناء مروره قرب الشمس انتزع لساناً ضخماً من مادتها، وبعد انسحاب النجم بقي اللسان من المادة يدور حول الشمس، ثم انفجر إلى كتل أصغر وتشكلت الكواكب ومنها الأرض .

وهناك نظرية المذنب الهائل الذي اصطدم مع الشمس ونظرية الانفجار النووي، وكلها تدل على أنها كانت سديماً انفصل إلى أجزاء أخذت تدور حول الشمس بنظام دقيق، وقد سبق القرآن ذلك بأكثر من أربعة عشر قرناً عندما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾[1] وأهمية بعدها وقربها من الشمس له علاقة في حرارتها وبرودتها واستمرار الحياة عليها. وسرعتها وميلانها صيفاً وشتاءً كله بشكل موزون وبحسبان دقيق لاستمرار الحياة على هذه الأرض.

إن الإعجاز القرآني في هذا البيان بأنه عمومي اللفظ، وجاء بخطوط عريضة لم يجزم بقوله السموات والأرض، ولم يقل الشمس والقمر والأرض، وإنما جاء لفظ السموات على عمومه ليشمل كل النظريات التي قد يفترضها الإنسان بالتحليل الفرضي العلمي، ولذلك اختلف علماء الجيولوجيا، وعلم الفضاء، وأتوا بعدة نظريات احتمالية، فمنهم من قال بالانفجار الكوني، ومنهم من قال بنظرية السديم، ومنهم من افترض مرور النجم العابر وانتزاع لسان ضخم من الشمس أدى إلى انشطارات كونت المجموعة الشمسية بنجومها وأقمارها.

وأثبت العلم كروية الأرض عن طريق الصور الملتقطة من

---

(١) الأنبياء/ ٣٠.

الأقمار الصناعية قال الله تعالى : ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾[1] وإن الإعجاز العلمي للقرآن القائل بحركة الشمس التي تجري لمستقر لها، وأما الأرض فقد قال القرآن عنها : ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[2] وهي تسير بسرعة ١٠٠٠ ميل في الثانية حول نفسها و١٨ ميل حول الشمس وإن الأرض بما فيها من كائنات حية، وماتحويه من النباتات والحيوانات والبشر لتدل دلالة واضحة على عظمة الخالق قال الله تعالى : ﴿وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾.

ومسيرة الأرض التاريخية عبر ملايين السنين التي قدر لها بين ٥ , ٤ ـ ٦ مليارات سنة وكل مافيها من البيئة الملائمة لحياة البشر كالحرارة والبرودة، والماء، والمطر، والمواد الخام، والزراعات ومافي البحار من كائنات حية كلها لتدل على أن قدرة عظيمة لها غاية وقصد قد أوجدت هذه الأرض.

---

(١) الزمر/ ٥.

(٢) النمل/ ٨٨.

وإن اختلاف طبيعة الأرض عن بقية الأجرام السماوية لتدل دلالة واضحة على قصد وغاية في تميز الأرض عن كل المجموعة الشمسية، وذلك لإيجاد الحياة والإنسان والكائنات الحية ضمن بيئة ملائمة لها، وهذا كله دليل على وجود حكيم خبير حكيم مدبر لهذه الأرض.

التصوير النفسي القرآني

إن عظمة القرآن تتجلى في صور شتى ، وتكشف الآيات أسرار النفس في حالات متغايرة ، إنه التصوير النفسي ، تصوير بالحركة ضمن عمق الخلجات التي تنتاب الإنسان ؛ وقد صور القرآن حالة النفس الإنسانية في حالة الشدة والضيق والانزعاج واليأس . إنه تصوير منتزع من خفايا تصورات داخل النفس التي لايعلمها إلا الذي خلقها ﴿ألا يعلم من خلق﴾ ويصور الحالة بأسلوب دقيق مبدع ماستؤول إليه النفس في مستقبلها وحاضرها .

إنه تصوير حركي بتصوير رمزي دقيق ينبض بالحياة الظاهرة . إنه إيقاع موسيقي داخلي ينساب مع خلجات القلب في أطوارها ﴿قاعداً أو قائماً﴾ ﴿بل إياه تدعون﴾ مخلصين له الدعاء متخلصين من كل شوائب الشرك ، صورة فنية يعرضها القرآن في أكثر من موضع يصف الإنسان المضطرب الذي أصابه الضر ، وانتابته الشدة ، ونزلت به الفاجعة ، وأحاط به القنوط فتنمحي أمامه كل الصور ، وتصرخ النفس بتضرعها من أعماقها في لجوء وتواضع وتَرَجٍّ ناسية كل الذي كانت تدعوه من قبل .

قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ

﴿لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] أي وصف دقيق، وأي بلاغة عالية رفيعة، وأي بيان بديع، إنه يصف العمق في خلجات القلب التي أصيب بالضراء والشدّة؛ ويتابع اللوحة النفسية الرائعة الناطقة المتحركة بتضرع ودعاء خاشع؛ لعل القدرة التي تعرت نفسه من الإيمان إلا بها، وتركت كل الركام المتلبد على العقل والقلب والشعور. لعله يصبه لمسة من الخير بدلاً من تراكم الضر والشدة التي حركته مستصرخاً جزعاً هلوعاً قاعداً وقائماً ومتضجعاً يستغيث بالله الذي آمن به، وتتابع هذه الصورة نهاية المشهد، إنها عودة إلى الاستهتار والاندفاع والنسيان والإسراف، إنه اندفاع مع تيار الحياة دون كوابح أو زجر أو تذكر للحالة السابقة، وإن النفس البشرية سريعة النسيان فتعود إلى مجرى حياة عادية مطمئنة كأنها لم يمر بها أي حدث جلل، إنه التصور الكامل للنموذج البشري المتكرر في كل جيل وعلى مر العصور.

وتعود الآية الأخرى لتصور لنا مشهداً آخر وبصورة فنية دقيقة ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض﴾ ويتابع القرآن الكريم الوصف النفسي لهذا الإنسان الذي أُنعم عليه وكيف قابل المنعم بالإعراض والابتعاد عن طاعة المنعم، حتى إذا استمرأ الحياة وعاش بكليته لذة وإسرافاً وإعراضاً

---

(١) يونس/ ١٢.

انتابته حالات الشدة والضر فعاد بدعاء عريض يسع أحواله كلها قاعداً أو قائماً، ساكناً أو متحركاً، قبل النوم وبعده، في صباحه والمساء في استغراق كامل لحالة نفسية أصابها الشر حسب اعتقاده القاصر، لأن الإيمان ضعف في نفسه بنسيانه المنعم. وقد وصف الرسول حالة المؤمن قائلاً: (عجباً للمؤمن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) رواه مسلم والصبر نصف الإيمان.

وتكشف الآيات عن حالة أخرى من حالات النفس المريضة التي تنسى مذهولة عن كل ماض مر بها أو تنسب الأمور إلى غير موجدها مدعية القدرة الذاتية على كشف الضر بقدرتها وعلمها وأساليبها؛ وماأروع هذا الوصف الدقيق في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

إنه تصوير تحليلي لحالة الإنسان المتكررة بعد الضراء والدعاء، تتلمس الآية عمق الشعور الذاتي في ذلك الإنسان الذي اليد القادرة الخفية غير المرئية التي أزالت عنه الضراء بعد دعائه وتضرعه، ولما كشف عنه قام يتشدق صارخاً في أعماق نفسه بأن الضراء زالت عنه بعلمه وأسباب ونتائج قام بفعلها منذ فترة، وهذه نتائجها وليست

---

(١) الزمر/ ٤٩.

لأي قدرة خفية أي تدخل بل أوتيته على علم وهنا الفتنة . . وهذه الفتنة تندرج بالعملية الإيمانية التي تؤمن بأن الله عز وجل هو الفاعل الحقيقي لإزالة الضراء بقدرته ورحمته ومشيئته، ويعود القرآن ليصور لنا صورة بديعة من الإعجاز النفسي في القرآن العظيم فيقول الله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾[1] .

إن هذه الصورة المختلفة عن سابقتها بأن الخير جاءه وكُشف البلاء ونسي ماكان يدعو من قبل وأضافت هذه الصورة أنه جعل أنداداً (شركاء) يشاركون الله في مساعدته لكشف الضر، وينسى المنعم، ويشكر الناس وكأنهم وحدهم هم الذين قدموا له يد المساعدة، ونسي المسبب الملهم الذي ألهمهم مساعدته، لأن قلبه غير مرتبط بالله عز وجل وقد يؤدي في نهاية المطاف إلى الكفر والنار.

وأما هذه الصورة التحليلية القرآنية للحالات النفسية تعود آيات أخرى لتصور الإنسان بصورة أخرى قال الله تعالى : ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾[2] صورة شاخصة تمثل أكثر الناس وبطلب متكرر يصل إلى الملل لكي

---

(١) الزمر/ ٨.

(٢) فصلت/ ٤٩ .

يتحقق له الخير دائماً، وإذا انتابته حالة طارئة من خير أو شر أو مصيبة فتحل في نفسه مصيبة أخرى وهي اليأس والقنوط وهي حالة تدل على إيمان ضعيف، وجزع سريع وضجر وملل وقنوط من رحمة الله ونسي القادر الذي يستطيع أن يحل له مشكلته وعليه انتظار الفرج لأن اليأس والقنوط كفر.

وتكرر الآيات صوراً أخرى قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾[1].

فريق يبقى منيباً شاكراً لأنعمه بعد الرحمة التي نزلت عليه وفريق يشرك بربه «إنما رزقنا بنوء كذا أو بسبب كذا» وسماه الرسول ﷺ نوعاً من الإشراك لأن الرزق بيد الله والفضل من الله والخير من الله عز وجل وعلينا شكر نعمائه والحمد والثناء لفضله ونواله.

وتأتي الصورة الأخرى لتبين صفة الذين رحموا بالخير بعد الشر يصف مكرهم قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾[2] وهذه صورة مركبة من حالة نفسية للمعاندين الذين هبطت نفوسهم إلى حالة التردي والمكر بدلاً من الشكر والإيمان.

---

(١) الروم/ ٣٣.

(٢) يونس/ ٢١.

ويأتي لنا القرآن بوصف عجيب لصورة جديدة لم يعرفها محمد ﷺ ولايدري كنهها وهذا هو الإعجاز النفسي القرآني. إنها صورة الإنسان الذي ركب ثبج البحر، وجاءت الرياح العاصفة واشتد الأمر، وادلهم الخطب، وهاج ركاب السفينة وماجت بهم، وارتطموا بتلك الكتل من الأمواج، وتكاد السفينة أن تنكسر.. ويصف الله تعالى حالهم بوصف رائع قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾(1).

ويكرر الصورة بآية أخرى قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(2).

إنها صورة واضحة قرآنية منتزعة من بيئة بحرية لاتنتمي إلى بيئة المدينة المنورة، والنبي محمد ﷺ لم يركب البحر ولايدري عن هذا الأمر شيئاً ولكنه تصوير الخالق العظيم الذي يعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور، ويعلم الحاضر والماضي والمستقبل، ويعقب بأن هذا الإنسان الذي أصابته الضراء في البحر، وانقطعت به

---

(1) الإسراء/ ٦٧.

(2) الأنعام/ ٦٣.

الأسباب عاد إلى عمق الفطرة، وضل كل دعـاء سابق للأوثـان أو للشركاء، وبدأ يدعو ربه منيباً مخلصاً ويقطع المواعيد لله بالتوبة الخالصة، والإنابة الكاملة، ولما نجاه الله عز وجل فإذا فريق منهم بربهم يشركون ويكفرون بنعمة النجاة ويعود فريق منهم لما كان عليه من الكفر والجحود.

بعد كل هذه الصور المتكررة والآيات العديدة تأتي الآية لتقرر بأن البأساء والضراء تصيب الأمم ليعودوا إلى الله قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾[1].

وتأتي الآية التي تتحدى هذا الإنسان الضعيف الذي انتابه اليأس والقنوط أن يفعل كل قدراته وإمكاناته فلن يستطيع رفع الضر عن نفسه إلا بالله عز وجل، والصبر والرضا بالقضاء والقدر قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾[2] أي تحد وأي رد، أبلغ من هذا الرد الكبير ممن يملك أسباب النصر والرزق وكشف الضر والبلاء والشدة.

إنه التضرع والعودة إلى الإيمان، والالتزام بطاعة الله عز

---

(١) الأعراف/ ٩٤.

(٢) الحج/ ١٥.

وجل ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾[1] .

وهكذا يبدأ المؤمن بالبحث عن الأدعية المأثورة من القرآن والسنة .

راجياً ربه (ربنا اكشف عنا العذب إنا مؤمنون)

ومردداً (وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد) .

ويستغيث في جوف الليل متضرعاً (أمن يجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) وتجده باسطاً يداه بالدعاء (يافارج الهم ، ياكاشف الضر ، ياصريخ المكروبين ، ياجار المستجيرين ، ياأمان الخائفين ، ياذا الجلال والإكرام ياذا الطول . . ويكرر ماكان تعود عليه النبي في دعائه (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك لاأحصي ثناء عليك كما أثنيت على نفسك) .

ويبحث في الكتب ، ويدعو مناجياً خالقه القادر على كشف الضر عنه قائلاً : (ياأول بلا بداية وياآخر بلا نهاية ، وياظاهراً مافوقك شيء وباطناً ماتحتك شيء اقضِ عني الدين وأغنني من الفقر . . واكشف عني الضر وفرج عني الهم والغم بقدرتك ياأرحم الراحمين) .

ويالها من حالة نفسية يعيشها المؤمن مستغيثاً بالقادر على كشف البلاء قائلاً : (اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك ، ومنتهى الرحمة من كتابك ، واسمك الأعظم وجدك الأعلى

([1]) النساء/ ١٤٧ .

(حظك) وكلماتك التامات إلا كشفت عنا الضر وأغنيتنا من فضلك ياكريم).

وإن هذه الحالات التي يذكرها القرآن لتدل على قدرة عظيمة تعلم مكنونات النفس البشرية في أعماقها، ولايمكن لقدرة بشرية أن تصف كل ذلك، وهذا دليل على وجود قوة خفية تميل إليها الفطرة لتستنجد بها في حالات الضعف، وهكذا يروى أن أحد المؤمنين المقصرين في أداء الزكاة أنه صعد ذات مرة إلى شجرة عالية يقلم أطرافها فاشتدت الريح عليه وبدا له أنه في حالة ضر وشدة وهلاك، وبدأ بالدعاء والتضرع والبكاء والاستجداء منادياً ربه، مستصرخاً، مستنجداً، مستغيثاً بالله عز وجل، واشتدت به الريح وصارت الشجرة تميل ميلاً، وكاد أن يسقط فقال يارب لئن أنجيتني لأدفعنّ زكاة مالي عن سنتين، واشتدت الرياح وكاد أن يسقط فعاهد الله لئن أنجاه ليعطين الفقراء زكاة خمس سنوات ومالبثت أن تحطمت حوله بعض الأشجار وقال والله لأعاهدنك أن أدفع كل زكاة علي مفروضة منذ وجبت علي الزكاة، وهدأت الريح حتى إذا وصل إلى الأرض نظر إلى السماء وقال يارب والله لن أخرج شيئاً ولن أصعد شجرة بعد اليوم، وهكذا تتوضح صورة هذا الرجل الذي ظن أنه سيفلت من يد العقوبة قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾[1]

---

(١) يونس/ ٢١.

وفي ردته ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا﴾[1] .

وهكذا نجد أن القرآن العظيم يعلم غيب السموات والأرض، وغيب أحوال النفوس ويصورها شاخصة يتلمس أعماقها من الداخل، وهذا يدلنا دلالة واضحة على الإعجاز النفسي في الوصف القرآني؛ وكم في القرآن شواهد على هذه الحالات النفسية وغيرها، يجدها كل متتبع للقرآن مع التدبر.

قال الله تعالى : ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ .

---

(١) الإسراء/ ٦٧ .

الأدلة القرآنية على وجود الله

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5].

(١) فصلت/ ٥٣.

(٢) التين/ ٤.

(٣) البلد/ ٨-١٠

(٤) القمر/ ٤٩.

(٥) الأعراف/ ٥٤.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[6].

---

(١) الأعراف/ ١٨٥ .

(٢) يس/ ٣٨.

(٣) الفرقان/ ٦١ .

(٤) الواقعة/ ٥٩ .

(٥) النمل/ ٨٨.

(٦) يونس/ ١٠١ .

وقال تعالى ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[3].

وقال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ

---

(١) يوسف/ ١٠٥.

(٢) الأنعام/ ١٠٢ـ١٠٣.

(٣) سبأ/ ٦.

(٤) الشورى/ ٢٩.

(٥) الذاريات/ ٢٠ـ٢١.

﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ۝٤٨ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ .. ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾[6].

---

(١) الذاريات/ ٤٧ .

(٢) الكهف/ ٣٧.

(٣) الغاشية/ ٢٠ ـ ٢١ .

(٤) إبراهيم/ ١٠ .

(٥) الأنبياء/ ٣٠.

(٦) الأنبياء/ ٣٢.

وقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾[3].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4].

وقال الله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[5].

وقال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو

---

(١) الطور/ ٣٥-٣٦.

(٢) الملك/ ٢٣.

(٣) الروم/ ٢٢.

(٤) العنكبوت/ ٢٠.

(٥) البقرة/ ٢٨.

﴿ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[3].

وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[4].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[5].

إن القرآن العظيم، الوحي الخاتم، التنزيل الحكيم وهو الكتاب الذي حفظ بحفظ الله له ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[6].

---

(١) آل عمران/ ٨١.

(٢) آل عمران/ ١٩١.

(٣) التغابن/ ٣.

(٤) الحج/ ٤٦.

(٥) فاطر/ ٢٨.

(٦) الحجر/ ٩.

يستدل الإنسان الباحث العالم المنصف أن فيه نظرية لنشوء الكون ونشوء الحياة على الأرض، وإشارات علمية لم تصطدم ولن تصطدم مع أحدث الاكتشافات العلمية الحديثة ولقد أظهرت آياته .

١ ـ دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس (فاختلاف الليل والنهار) .

٢ ـ السماوات والأرض كانتا كتلة واحدة وانقسمت عن طريق الانفجار الكوني أو مرور النجم الكبير أو الفتق . .

٣ ـ تكوين الجنين وأطواره (التقى مع آخر الدراسات الطبية) .

٤ ـ امتداد الكون وتوسعه (نظرية تمدد الكون) .

٥ ـ الماء وأهميته ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ .

٦ ـ لايتناقض مع نظرية الترتيب الكوني والتطور في نظرية الخلق .

٧ ـ حوار حول القدرة الخالقة بالنظر في ملكوت الأرض .

٨ ـ الابتعاد عن النظريات الفلسفية التي لا طائل تحتها .

٩ ـ الغلاف الجوي الحافظ (سقفاً محفوظاً) .

١٠ ـ تكوين السحاب والمطر .

١١ ـ الزوجية في كل شيء حتى في الذره .

١٢ ـ القيم العليا، والمبادئ السامية، والأخلاق الرفيعة.

١٣ ـ التنظيم العائلي (العلاقة الأبوية مع الأبناء).

١٤ ـ التنظيم التشريعي (المواريث ـ الدين ـ الأمانة ـ المبايعات).

١٥ ـ التنظيم الجزائي (الحدود ـ حد الزنا ـ حد السرقة ـ حد القتل).

١٦ ـ التربية الروحية ـ العروج الروحي ـ التزكية.

١٧ ـ الاستنتاج المنطقي بالاستدلال العقلي (الخلق الأول وإمكانية الخلق الآخر).

إن الإعجاز اللغوي، والإعجاز العلمي، والنظام الشمولي لتكوين المجتمع المسلم في القرآن مع عدم التصادم مع أي اكتشاف علمي يدل دلالة واضحة على أن هذا القرآن العظيم لم يستطع مخلوق محدود إيجاده، وكل هذا دليل على أن محمداً ﷺ هو الرسول الموحى إليه هذا الكتاب، ومادوره إلا الإبلاغ والدعوة إليه وبيانه وشرحه وتفسيره والعمل به ليكون أسوة للناس. وهذا يدل دلالة كبرى على قوة عظمى حكيمة تعلم غيب السموات والأرض وتعلم ماسيحدث في المستقبل، وقد أثبت القرآن كل هذه العلوم بخطوط عريضة وبإشارات مبطنة ليكتشف العالم بعدها أن ماجاء في هذا القرآن منذ أربعة عشر قرناً لايصطدم مع الحقائق العلمية

الثانية بـل جـاء محرضـاً العقـل البشـري للعمـل الـدؤوب للسـير في الآفاق لاكتشاف الكون ومافيه والسـير في الأرض لمعرفـة كيـف بـدأ الله تعالى هذا الخلق .

إن عظمة القرآن الكريم لتدلنا دلالة على وجود خالق عظيـم هو الذي أوجد هذا الكون الكبـير ، وهـو الـذي أبـدع هـذا الإنسـان المخلوق وسخر له مافي الكون ليصل بالعقل والإيمان إلى سعادته في الدنيا ومن ثم في الآخرة .

وهذا الدليل هو دليل استنتاجي معكـوس ، فـالقرآن العظيـم يدل على قدرة خالقة عظيمة ، ويدل على علم الغيبيات ، ولايعلـم الغيب بشر محدود القدرة كمحمد ﷺ وإنما الذي خلق الكون أنـزل الذكر الحكيم وهذا دليل عكسي من الجزئيات إلى الكليات .

فجزئيات القـرآن العظيمـة تـدل علـى كليـات هامـة وهـي أن موجد هذا الكون بما فيه من جزئيات عظيمة ليدل على قدرة خالقـه عظيمة .

الإنسان دليل على عظمة الخالق العظيم

الإنسان هو المخلوق العاقل الوحيد الموجود فوق هذه الأرض وكل النظريات التي أثبتت نشوء الحياة لم تصل إلى حقيقة علمية على تطور الخلايا وتشابكها وتكوينها، ونظرية التطور ماهي إلا فرضيات لادليل لها على أن الإنسان سار مع مراحل تطور الخلية صعوداً حتى وصل إلى ماهو عليه الآن، وعند العجز قالوا بالحلقة المفقودة بين الحيوانات والإنسان.

وهل يعقل أن هذا الإنسان المكون من ملايين الخلايا في كل جزء من أجزاء تكوينه وتناسق هذه الخلايا، وتحقيق وظائفها جاء مصادفة ومن تطور عبر مسيرة ملايين السنين.

العقل والدماغ: (الجهاز العصبي)

الجملة العصبية في الإنسان هي أهم جزء في البدن، حيث تمثل قيادة الجسم من الناحية المادية والفكرية، والخلية العصبية بشكلها الساحر المعقد، وفيها مقر الإدراك والتفكير والمحاكمة والتصور والخيال، والإبداع، والذاكرة والإرادة وتبلغ في تعدادها في الدماغ (١٤) مليار (ألف مليون) خلية عصبية. فقد قال العالم جود سون هريك: (لو أننا جمعنا كل أجهزة العالم من التلفون والتلغراف والرادار والتلفزيون ثم حاولنا أن نصغر هذه الكومة

الهائلة من الأجهزة المعقدة حتى استطعنا وبمجهود جبار أن نوصلها إلى حجم الدماغ، فإنها لاتبلغ في تعقيدها مثل الدماغ) وصدق؛ لأن الدماغ بلغ من التعقيد حداً يعجز الدماغ عن فهمه)[1].

وتقدر في الجسم بحوالي ٣ ـ ٤ ملايين جهاز للألم، و ٥٠٠ ألف جهاز حساس للمس أو الضغط، وأكثر من ٢٠٠ ألف جهاز حساس للحرارة.

وإن ولادة هذه الخلايا العصبية بنفس العدد الثابت وهي (١٤) مليار منها ٩ مليارات في المخ، وتتوزع على ٦٤ منطقة، وتبقى ثابتة، ولو أنها تتغير كبقية خلايا الجسم لاحتاج الإنسان أن يتعلم اللغة كل ستة أشهر، ويكون هذا أيضاً فقدان الذاكرة، فثبات الخلايا العصبية هو الذي جعلها تجمع الخبرات والمعلومات وتنمي الثقافة والأفكار والمفاهيم، ولاتزيد ولاتنقص إلا في حالات مرضية أو نمو الأورام الخبيثة.

وتبلغ سرعة سريان الإشارات والتنبيهات في الأعصاب ١٠٠ متر في الثانية.

القلب (الدورة الدموية)

وزن القلب حوالي (٣١٢) غراماً، وتبلغ ضربات القلب حوالي ٦٠ ـ ٨٠ في الدقيقة وفي العام ينبض حوالي ٤٠ مليون مرة

---

(١) الطب محراب الإيمان ج١/ ص ٨٤.

وفي كل نبضة يدخل القلب حوالي ربع رطل مـن الـدم ، ويضـخ في يوم واحد ٢٢٠٠ جالون من الدم وحوالي ٥٦ مليـون جالون على مدى حياة إنسان بأكملها .

وفي الدم (٥) ملا يين كرية حمراء في كل ملمتر مكعب واحد من الدم ، أي تبلغ (٢٥) مليون مليون كرية حمـراء وتعيش الكريـة وسطياً (١٢٠) يوماً وفي الجسم ٢٥ ـ ٣٠ ألـف بليـون خليـة حمـراء و٥٠ مليون خليـة بيضـاء ، والأنـابيب التي يمر فيهـا الـدم تبلـغ مـن الكثافة والانتشار حداً لايكاد يصدق في البـدن ، حيـث يبلـغ طولهـا مايزيد عن مائة ألف ميل ، وهي تتغلغـل بـين جميـع أنسـجة الجسـم حتى العظم الكثيف ، وتروي جميع المناطق التي تصل إليها .

العين:

كرة العـين تزن ثمانية غرامات ، وهـي مـن أروع غـرف التصوير الفنية ، وهي غرفة مظلمـة مغلقـة بثلاثـة جـدران وهـي الصلبـة والمشيمية والشبكية ، وهي موضعة ضمن جهاز وقاية في منطقة من الوجه منخفضة يحيط بها ثلاث تلال مرتفعة ، وبهذا تحمى العين من الضربـات والأشعة والعرق ، وفيها ٥٠٠ ألف ليف من ألياف العصب البصري .

وفي العـين (٣٠) شـرياناً مغذيـاً ، وثلاثـة أعصـاب محركـة وعصـب ينقـل الحـس ، وعصـب ينقـل المبصـرات عبر شـريط يضـم نصف مليون ليف ، وهذه الألياف تنقل المبصرات من (١٤٠) مليـون

عصاة و(٧ ملايين مخروط) و(١٣٠) مليون من مستقبلات الضوء.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[1].

السمع (الأذن):

إن حاسة السمع معقدة جداً، والمعلومات الموجودة طبياً وتشريحياً تتناول كيفية انتقال الصوت لاأكثر، أما خزائن الذاكرة للمسموعات فليس لها أجوبة علمية حتى اليوم، وتتكون من الأذن الخارجية والوسطى والداخلية، وإن منحنيات استقبال الصوت مصممة بشكل دقيق وفني، واهتزاز الصوت مقداره يتراوح بين (١٦ ـ ٢٠٠٠٠) هزة في الثانية، والأذن تستطيع أن تميز بين (١٥٠٠) لحن مختلف إلى (٣٤) ألف لحن مختلف في الشدة والتواتر والاهتزاز، والأذن الباطنية لها اختصاصات، الأول للسمع والثاني للتوازن وإن عضوركورتي (الغشاء الداخلي) يضم مايقرب (١٠٠٠٠٠) خلية سمعية، حيث تتصل بالخلايا، ومن بين العظيم الكثيف ألياف عصبية في منتهى الدقة، وتجتمع لتشكل العصب السمعي الذي يصل إلى الفص الصدغي من فصوص الدماغ لأن اختصاصه للسمع. وفي القسم اللولبي وحده أربعة آلاف قوس صغيرة متصلة بعصب السمع. قال الله تعالى: ﴿إن

---

(١) المؤمنون/ ٧٨.

السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾.

خلايا الإنسان:

في جسم الإنسان ألف مليون مليون خلية (۰۰۰, ۰۰۰, ۰۰۰, ۰۰۰, ۱۰۰۰) وهذه الخلايا تشكل مجموع الأجهزة في الإنسان مثل جهاز التنفس، وجهاز الهضم، والجهاز البولي والجهاز التناسلي، والجهاز اللنفاوي، والجهاز الدموي، والجهاز العضلي، والجهاز العظمي، والجهاز العصبي، والجهاز الجلدي، والجهاز الضام.

وهذه الخلية تتكون من الماء والأملاح المعدنية وعناصر ثانوية كالصوديوم والمغنزيوم والكبريت والكلور والبوتاس والكلس والحديد والفلور والبور وسيليس ومنغنيز ونحاس ويود وفيها حوالي ۱۸ عنصراً وهي العناصر الموجودة في التراب قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾.

وبعض الخلايا مثل الخلية المعوية تولد وتعيش وتموت في ٤٨ ساعة، وتتجدد باستمرار، وخلايا الكبد ۳۰۰ مليار خلية وتتجدد كلياً خلال أربعة أشهر.

ويستهلك الجسم من خلاياه حوالي (۱۲٥) مليون خلية في الثانية الواحدة أي بمعدل (۷٥۰۰) مليون خلية في الدقيقة الواحدة، وفي الجهاز الدموي يستهلك الإنسان من الكريات الحمر في كل ثانية

حوالي مليوني كرية حمراء، ويقول بوخز وهو من أكثر الماديين غلواً: (إن البت في أمر مولد الكرية الأولى تولداً ذاتياً غير ممكنة، والكرية ذاتها على بساطتها ذات بناء وتركيب يمتنع معه صدورها من الجماد مباشرة) قال الله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾.

الجنين وتكوينه يدل على عظمة الخالق

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[1].

النطفة مع البويضة في الرحم، وتشكل النطفة ثم العلقة وتكبر وتنمو حتى يتكون الجنين في رحم الأم. ويتغذى عن طريق الحبل السري من أمه. وفي خلال الأسبوع الرابع يبدأ تشكيل الجنين من مجموعة الخلايا فتشكل القلب والعمود الفقري والجلد والعين والقناة الهضمية والأمعاء والفم والشرج، وهذا العلم حول الأجنة لم يكن في عهد نزول القرآن، فكيف وصف القرآن كل هذه الأمور كما اكتشفها العلماء المعاصرون.

الأغشية الثلاثة التي ذكرها القرآن (في ظلمات ثلاث) الغشاء الساقط، والكوريوني والأمينوسي) وإن كان المقصود ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة الأغشية كان جائزاً، وفي الشهر الرابع يبدأ الكبد بالعمل، والرحم يتمدد من ٢ ـ ٣سم٣ إلى ٥٠٠٠سم٣

---

(١) المؤمنين/ ١٢ ـ ١٤.

فيزداد حجمه ٢٥٠٠ ضعف تقريباً.

وقد ورد في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون وفي رواية بضع وأربعون وفي رواية خمس وأربعون ليلة بعث الله ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب ذكراً أو أنثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك».

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾[1].

وفيما رواه الشيخان قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلاقة في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة في ذلك قبل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح».

ونتيجة الأمر نجد أن تكوين الطفل في بطن أمه وتكوينه لابد له من قدرة خلاقة عظيمة تهندس جزئيات الجنين وتكون كل خلاياه، وتجمع الخلايا لتكوين العين والسمع والدماغ وجهاز التنفس والجهاز التناسلي والدورة الدموية والعمود الفقري والأيدي والأرجل والرأس كل في مكانه.

---

(١) السجدة/ ٧ ـ ٩.

وقد تم كل ذلك بقانون الله عز وجل وسنته في خلقه ، وهذا أكبر دليل على عظمة الله عزوجل وقدرته في الخلق من شبه العدم (النطفة) (والبويضة) .

هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه فتبارك الله أحسن الخالقين .

قال الشاعر :

هل في عقول الملحدين غباء   أم في عيون الملحدين عماء
أيصح عقلاً أن عقلاً مبدعاً   قد أوجدته طبيعة بلهاء

دليل الخلق المستمر من النطفة:

إن دليل خلق الإنسان الأول من طين (أن آدم خلقه من طين لازب) فالآية التي بينت أن الإنسان خلق من طين (تراب) ثم جعل نسله من نطفة ، والواقع المشاهد والعلم يقر بما جاء في الآية تماماً من النطفة ثم العلقة ثم المضغة ثم الإكساء بالعظم ومن ثم باللحم فهنا الدليل العكسي .

فإذا صحت نظرية القرآن العلمية بتكوين الجنين من النطفة ومع تطورها حتى تكتمل جنيناً كاملاً فإن مقدمة الآية تثبت أن الإنسان الأول آدم وجد من تراب ، وأن الله عز وجل هو الخالق لهذا الإنسان ، الأول فلما أيقنا بالنظرية العامة لتكامل الإنسان من ماء مهين ، ثم تكامله فالمقدمة مع النتيجة صحيحة ، وهذا دليل

جديد على وجود الله عز وجل لمن آمن بالعقل والأسباب والمسببات والمنطق السليم، ويحتم علينا الإيمان بتكوين الجنين، فالمقدمة يجب أن تكون صحيحة لأن النتيجة بعد خلق الإنسان الأول وجعل النسل من سلالة الماء المهين (النطفة)، وهذا دليل معاكس من النتيجة يثبت صحة المبدأ والمقدمة.

وهذا الدليل ينفي التولد الذاتي للخلية الأولى التي قال عنه بعض علماء الجيولوجيا الماديين، وأنكره علماء الطبيعة الذين لم يوافقوا على توليد الخلية العضوية من غير العضوية...

وهذا الدليل يوافق نفي قانون المصادفة الذي قال به بعض علماء الجيولوجيا الماديين الملحدين، والذي وضحناه في بحث خاص حول فلسفة المصادفة.

فالقرآن الكريم الذي دعا الإنسان للتعقل والتفكر، وجاء بأمور لايمكن أن يقدر عليها أحد قبل أربعة عشر قرناً أن يتحدث فيها، وأجمل النظر في الكون والإنسان والحياة، وطلب حثيثاً النظر في السموات والأرض وفي الإنسان والحيوان والجماد، وجاء مطابقاً لكل ما جاء به العلم المعاصر، ولم يخالف بنظرياته الكلية العلم والمنطق أن يكون من إيجاد أمي لايقرأ ولايكتب ولايعلم المكتشفات العلمية، ولم تكن في عصره فأنى له أن يوجد هذا الكتاب العظيم الذي لم يصطدم بكلياته مع المعارف البشرية، وهذا ما دعا الدكتور موريس بوكاي لدراسة العلاقة بين القرآن

والمكتشفات العلمية الحديثة وأنها كلها متطابقة، ولم يخالف بنظرياته العلم الحديث وما جعله يقر بعظمة القرآن وأنه من عند الله الخالق العظيم، وأعلن إسلامه وأصدر كتابه (الإنجيل والتوراة والقرآن) (دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة).

وقال: (أدركت بعد الانتهاء من دراستي الواعية أن القرآن لايحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث)[1].

(ولاعجب في هذا إذا عرفنا أن الإسلام قد اعتبر دائماً أن الدين والعلم توأمان متلازمان)[2].

فلسفة المصادفة

إن الماديين الملحدين يضعون فكرة المصادفة على قمة الإجابة في التساؤل المكرر: من أوجد هذا الكون؟

وتكون أجوبتهم بأن الظروف المادية المختلفة، وعبر أحقاب طويلة تجمعت ذرات الغازات وكونت الأجرام، وهكذا تكونت الشمس والأرض بظروف مختلفة، ويضعون احتمالات عديدة ونظريات السديم المار قرب الشمس، مما أدى إلى انفصال كتل منها عشوائياً وشكلت المجموعة الشمسية.

---

(١) ص ١٣.

(٢) ص ١٣.

ولكن لم يقدروا أهمية الأبعاد بين الشمس والأرض، والأرض والقمر لتكوين الحياة على هذه الأرض. وعلاقة البعد بالحرارة والبرودة، وعلاقة بعد القمر بالمد والجزر ولابد لنا من استجماع لأقوال العلماء حول فلسفة المصادفة.

قال لابلاس: (المصادفة ليست إلا مظهراً فحسب فهي حمل بعدد وأهمية العلل المركبة التي يصعب قياسها لبعض الحوادث)[١].

ومن ثم أكد لابلاس (المصادفة مرحلة مؤقتة في حركتنا العرفانية فهي ليست إلا الاسم الذي نخفي به جهلنا بالعلل)[٢].

وقال داربو: (ليس من الجائز أن نفسر بالمصادفة ذلك الذي لانعرف تفسيره)[٣].

ويعود لابلاس ليؤكد بأن (المصادفة هي حد لجهلنا، أو هي جهلنا بالعلل)[٤].

وقال بيرس: (لو تأملت بعمق لتكشف لك أن المصادفة ليست إلا اسماً لعلة مجهوله لنا)[٥].

---

(١) ص١٠٤ فلسفة المصادفة محمود أمين العالم.

(٢) نفس المصدر ص١٥.

(٣) نفس المصدر ص١١١.

(٤) نفس المصدر ص١١٠.

(٥) نفس المصدر ص١٦١.

وقال كينز: (القول بالحتمية (العلمية) يتنافى مع القول بالمصادفة)[1].

وقال نيوتن: (إن هذه القوانين الاحتمالية لاتكشف عن واقع موضوعي فحسب وإنما تشير كذلك إلى الدقة والانضباط في الطبيعة، لأننا كلما قمنا بإجراء التجربة حصلنا دائماً على النتيجة نفسها والمصادفة ليست إلا القول بانتفاء العلة)[2].

ويقول فرانسيس بيكون معترضاً على مبدأ الاحتمالات في الفيزيائية الحديثة والمصادفة: (إن الحتمية العلمية قد استُبعدت عنها من الفيزياء الحديثة نتيجة لسيادة المصادفة)[3].

وقد ألف العالم الطبيعي برنارد فنك كتابه (العلم والطبيعية في الطريق إلى الدين) وهو في هذا الكتاب ينفي فكرة المصادفة ويجعل للنتائج الفيزيائية الحديثة مدلولاً روحياً.

وقال: (اليوم تسود في نطاق العلم إرادة تربط خيوط العلم بكل قيم الحياة الإنسانية العليا بالله والروح وحرية الإرادة وغير ذلك من هذه الخطوط التي تبدو منفصلة انفصالاً كاملاً).

وقال جينز: (العلم الحديث يتفق مع المثالية).

---

(١) نفس المصدر ص١٧٩.

(٢) نفس المصدر ص٢٩٤.

(٣) نفس المصدر.

وبعد سرد كامل لكل هذه الأقوال التي تصف المصادفة العشوائية بالجهل للعل والتفسير الموضوعي لارتباط العلل بالمعلول حسب الفكر المنطقي الذي يحاول الماديون إبعاده ليوجد بدائل عنها وهي المصادفة ونظرية الاحتمالات.

ولكن وللأسف بأن كل التي يضربونها على المصادفة هي قطع النرد، والعملة بوجهين والأرقام من ١ ـ ١٠ . . . ولم يبينوا كم من فرص الاحتمال لتكوين الخلية المشكلة من عناصر مترابطة ولها وظائف وضرورة وعلل.

وكيف نبرر بالمصادفة البعد بين الشمس والأرض بـ ٩٣ مليون ميل وأهمية دوران الأرض والفصول والميلان والحرارة والبرودة وعلاقتها بهذا البعد.

وكيف نبرر بالمصادفة البعد بين القمر والأرض بـ ٢٤٠ ألف ميل وأهمية ذلك بالمد والجزر.

وكيف نبرر بالمصادفة مليار مليار خلية في جسم الإنسان وتوضُّع كل خلية حسب وظائفها واستمرارية خلايا الجهاز العصبي وعدم استمرارية بقية الخلايا.

وهل القوانين (الجاذبية ـ النسبية ـ الميكانيكية ـ الفيزيائية ـ الكيماوية ـ القوانين الرياضية ـ المثلثات ـ الفراغية ـ اللوغارتيمات ـ قانون ماندل ـ قوانين التغذية) هي نتاج مصادفة عشوائية؟

وهل تكرار الجنين في الرحم وتكيفه وتشكيله مصادفة.

وهل تكرار ملايين الأجهزة عند الإنسان والحيوان كالعين والسمع والجهاز الهضمي والدموي والعصبي كل من قبيل المصادفة العشوائية.

وقال برفسور باول لوث في كتابه: (الإنسان مخلوق لا مصادفة).

(وعلماء الأحياء يخدعون أنفسهم إذ يعتقدون بأن في مقدورهم الشروع في التولد الذاتي)[1].

وكيف تتم عملية النظام والإبداع من الطبيعة التي لا تعي حقائق الأمور وقال شولز: (إن الطبيعة حين يتأملها المرء في ذاته عقل غير واعٍ).

فكيف يمكن لغير الواعي أن ينتج العقل الواعي المدرك.

ونظر العالم الألماني ي. فيك (إلى الصبغيات على أنها دولة ضمن دولة)[2].

ويقرر باول لوث (بأن الخلية أكثر من كائن حي بدائي، إنها مرحلة تنظيمَية).

---

(١) ص٤٤ (الإنسان مخلوق لا مصادفة) ترجمة الأستاذ عمر لطفي العالم/ دار قتيبة.

(٢) نفس المصدر ص٦٣.

وقال: (إن هذه الخلية تحتوي على بنك للبينات لاقبل للإنسان أن يصنع شبيهاً له بمثل تلك الحقبة).

وإن وجود مليون ونصف المليون نوع من الحيوانات، وأربعمائة ألف نوع من النباتات كل هذه الأمور الموجودة على سطح الأرض ليدلنا دلالة كبيرة على الإبداع والتصميم والغاية والقصد، ولذلك تجد نيوتن يصرح بقوله: (فالله أبدي لا نهائية له عالم بكل شيء، قادر على كل شيء، مستمر من الأبدية، وحاضر من اللانهائية إلى اللانهائية، وهو موجود دائماً، وفي كل مكان، ويكَوِّن الزمان والمكان وعلى هذا فالأشياء جميعاً إنما تتحرك في الله).

وإن المثال الذي يضرب على نفي المصادفة وهو وجود ٥٠٠ ألف حرف في مطبعة، وإثر زلازل على أرض المطبعة وقعت الحروف وتشكل منها كلمة وهل هناك أي احتمال لتشكيل جملة مفيدة بسطر؟ والأهم من ذلك وبعد إجراء عملية اهتزاز شديد هل يمكن أن تتشكل قصيدة من مائة بيت بموضوع واحد وفكرة واحدة وذات هدف؟ وبهذا المثال تنفى عملية المصادفة بتكوين الإنسان والحيوان والحياة على سطح هذه الأرض. وكذلك مثال إخراج أعداد متوالية من ١ ـ ١٠٠ متتالية وكم فيها من الاحتمالات الرياضية قد يصل الرقم إلى ١ وأمامه مليارات الأصفار.

علم الله تعالى وحرية الاختيار

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم والصلاة والسلام على معلم الناس الخير وعلى آله وصحبه أجمعين.

يطالعنا في هذه الأيام رجال يحملون فكرة الحداثة، وينفون فكرة القديم ويشوهون ما آلت إليه نتائج فكر نبض بالحياة، وعمت فوائدة، وتعمقت آلياته فصارت مسلمات بعد صراع فكري طويل بين الفلاسفة وعلماء الكلام.

ولا ندري أهو الجهل، أم هو الهدم؟ وما يظهر لنا من اعوجاج في الفكر، وتخبط في الفهم، وإقحام في غير محله ليدلنا دلالة واضحة أنه هدم مبني على الجهل.

فكاتب محدث يُنظِّر لنا ديناً جديداً، ويتهم المسلمين بالشرك، ويحلل ويستنتج على استكبار بأن القرآن الكريم كتاب الله عز وجل لايحتاج إلى تفسير ولا إلى مفسر، بل علينا إحراق كل تراثنا في ليلة شتاء قارس، لنتحرر من الماضي ولننطلق إلى حاضر ومستقبل مشرق واعد.

ولست في صدد تحليل كتابه (دين السلطان) ولكن أردت البحث والتقصي في مقولة أدلى بها على عجلة من أمره، ليظهر لنا جهله في بحث لو استقصاه من كتب متناثرة لاحتاج إلى فترة طويلة

ليدرك نتائجه وما آلت إليه تلك البحوث المستفاضة حول العلم الإلهي. ولقد قرر وبفهمه الخاص في الصفحة (٦٢٨) أن (يقول لنا في القرآن بأنه ـ الله جل جلاله ـ شاء وأراد أن لايعلم من الإنسان إلا اللحظة التي هو فيها فقط أي اللحظة التي يوسوس فيها الشيطان للإنسان وماذا نوى من أفعال وأعمال بناء على ما يفكر فيه، أما أبعد من ذلك فقد شاء الله تعالى أن لايعلم حتى يكون الإنسان مسؤولاً بما سيفكر فيه وبما سيفعله في المستقل، فيتحمل كل نتائج تفكيره وعمله جملة وتفصيلاً، فله مطلق الحرية بأن يختار الكفر أو الإيمان، ولن يكرهه أحد، وما جاء الرسل أبداً لإكراهه بل جاؤوا فقط للإنذار والوعظ والنصيحة لا أكثر، والدليل على صحة هذا الكلام في القرآن قول الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1].

ثم يتابع فيقول: (وآيات كثيرة جداً في القرآن تقرر أن الذي يعلمه الله هو عن اللحظة الحاضرة، والله لايريد أن يعلم كيف سيتصرف كل إنسان).

وفي هذا المساق لابد لنا من الخوض في غمار هذا البحث وهو علم الله تعالى الذي بحث قديماً وحديثاً وتوصلت العقول المؤمنة إلى أن الله تعالى: ﴿يعلم غيب السموات والأرض﴾.

---

(١) الكهف/ ٢٩.

وهـو القـائل عـز وجـل : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[1] .

وقـال : ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾[2] .

وقال أيضاً : ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾[3] .

وقـال الله تعـالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾[5] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾[6] .

وإن هذا البحث في علم الله عز وجل قـد بحـث مـن فلاسفة الإسلام وعلماء الكـلام والمفسرين ، وقـد أجمعـوا علـى أن العلـم

---

(١) الأنعام/ ٥٩ .

(٢) طه/ ٩٨ .

(٣) الأنبياء/ ٨١ .

(٤) الحجرات/ ١٨ .

(٥) البقرة/ ٢٥٥ .

(٦) النساء/ ١٢٧ .

صفة واجبة بحق الله تعالى واجب الوجود، وهي صفة أزلية متعلقة بجميع المعلومات على التفصيل كلياتها وجزئياتها من غير تجدد وجه العلم، أو تجدد تعلق، أو تجدد حال له لقدمه والقدم لا يتغير ولا يتجدد له حال.

وعرفه الغزالي: (العلم هو اعتقاد الشيء على ماهو عليه).

وعرفه الأرموي بقوله: (العلم حصول معنى في النفس حصولاً لايتطرق عليه في النفس احتمال كونه على غير الوجه الذي حصل عليه).

والعلم عند الإنسان: (هو حصول صورة الشيء في العقل).

وقال البغدادي: (إن الله تعالى يعلم الأشياء قبل حدوثها بعلم يحدثه قبلها).

ومصادر المعرفة عند الإنسان اختلفت النظريات الحديثة حولها:

فهناك النظرية المثالية التي تجعل العقل المطلق أياً كان نوعه مرمزاً للأشياء، وتطورت عند هيجل وديكارت الذي يرد الوجود الخارجي إلى الفكر أوالعقل، بل يرد كل تعقل للأشياء والمعطيات في التجربة وفقاً للصور التي يفرضها الذهن على الأشياء، والنظرية الواقعية، وهي التي تقول بأن (للأعيان الخارجية وجوداً واقعياً مستقلاً عن أي عقل يدركها، وأن العقل إنما يدركها، على ماهي عليه بقدر طاقته)، ومعرفة الأشياء عندهم هي نسخة طبق الأصل

لحقائقها وصورة دقيقة في ذاتنا العارفة لما في الخارج، أي إن المعرفة هي إدراك الأشياء كما هي في الواقع بوساطة آلات الإدراك، وهناك نظريات متعددة لهؤلاء الفلاسفة الواقعيين الذين يؤكدون أن الحس والمعرفة الحسية هي التي تطبع صورته في العقل، والإنسان ماهو إلا منبع للأحاسيس والمعرفة التجريبية عند لوك الذي يؤكد أن معرفتنا كلها مستمدة من التجربة ونستمد أفكارنا من مصدرين: الإحساس وإدراك عمل ذهننا الذي يمكن تسميته الإحساس الباطن. وعندهم الوجود الواقعي هو ميدان هذه المعرفة.

وعند البراغماتيين المعرفة تتعلق بالعمل وما تؤدي من نفع فهي معرفة عملية، وعند الماديين فإن المادة والطبيعة والكينونة هي وقائع مادية موجودة خارج الوعي ومستقله عنه، وهي المعطي الأولي لأنها مصدر الأحاسيس والتصورات والوعي، بينما الوعي هو معطٍ ثانٍ؛ لأنه انعكاس المادة والكينونة، وإن الفكر نتاج المادة متى بلغت هذه المادة في تطورها درجة عالية من الكمال، وأن الفكر بصورة أدق هو ثمرة الدماغ. وعند ماركس (الوعي انعكاس لحركة المادة في دماغ الإنسان).

ونظرية المعرفة الإسلامية هي نظرية تعطي للعقل دوره في التعلُّم من الواقع الخارجي عن طريق منافذ المعرفة وهي السمع والبصر والعقل وهي معرفة عقلية.

والفلاسفة المسلمون يعتقدون (بأن العقل قادر على إدراك

الحقيقة وأن النفس الإنسانية التي تجرد ماهيات الموجودات عن اللوحات الحسية والصورة المتخيلة تستطيع في نظرهم أن تقلب هذه الصور إلى معقولات كلية بتأثير عقل مفارق يطلقون عليه اسم العقل الفعال)[1].

والطرق للمعرفة في المنظور الإسلامي هي الحس والعقل والوحي، وعمليات المعرفة الإسلامية التذكر والتعقل والتفكير والتدبر والفقه معتمدة على الوحي والنبوة والعقل، وبذلك يكون القرآن الكريم هو مصدر المعرفة ومنهاجاً وموضوعاً ومقياساً لأنه يتصف بالربانية، وهنا نجد أن الله أعطى مصدراً للمعرفة مضموناً ويقيناً لأن الله تعالى يقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[2].

ويجب ألا ننسى أن القرآن الكريم أمر المؤمنين بالنظر في هذا الكون لتزداد معرفتهم عن طريق الاستنتاج واكتشاف قوانين الله وسنة الله في هذا الكون، وإعمال الفكر لدراسة ظواهر الكون واكتشاف الأسباب والمسببات للاستفادة منها وأمر بالنظر والسير، والتفكر والتدبر وبذل الجهد العقلي لتسخير هذا الكون بسننه وقوانينه، ولتتسامى المعرفة إلى علم تجريبي يخدم الإنسان الذي كرمه الله وأنعم عليه وسخر له كل شيء إن استطاع استخدام كل

---

(١) دكتور صليبا/ تاريخ الفلسفة العربية ص١٣ ـ ١٤.

(٢) الملك/ ١٤.

طاقاته لإصلاح الحياة. وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1].

وفسرت عند الكثير أنهم الصالحون لها والقادرون على اكتشافها واستخدامها بالطرق العلمية والأساليب المتنامية بالعمل والجهد الدائم المتطور لتكامل المعرفة الكلية عن كل علم جزئي في الصناعة والزراعة والاقتصاد والعلوم الاجتماعية والإنسانية.

ونظرية المعرفة الإسلامية تؤمن بوجودين عالم الشهادة وما يجري فيه من تفصيلات وإجماليات تجريبية يعرف بالملاحظة بوساطة العقل والحواس ويقوم العقل بالاستنباط والاستقرار والاستنتاج لإيجاد معرفة عنه.

وبالطرق المنطقية يتوصل إلى الإيمان بوجود عالم الغيب يسانده الوحي لتكامل حقائق عالم الغيب والإيمان فيبدأ بالإيمان بالله تعالى ثم بالإيمان بكتاب الله عز وجل وهو الموحى المتعبد به، ثم بالنبوة وما تبينه وتعتبر شارحة ومبينة ومفصلة للوحي الأول المتعبد به وهو القرآن الكريم.

وبذلك يقول الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

---

(١) الأنبياء/ ١٠٥.

﴿شَهِيدٌ﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[2].

ويصل الإنسان إلى المعرفة اليقينية عن طريق الوحي في عالم الغيب، ويعمل فكره في عالم الشهادة بضوابط ومقاييس من الوحي لتكون شبه يقينية لتحقيق السعادة له وتسخير ما سخر له مما في السموات والأرض. وقد عمل المسلمون الأوائل في هذا وأنتجوا لنا حضارة كانت المرتكز الأول للحضارة العلمية الحديثة.

وبعد كل ما تقدم لابد لنا من الرد على قوله بأن: (الله شاء أن لايعلم) وعلم الله أزلي مقترن بالقديم وهي صفة لازمة للحق عز وجل.

والعلم لايستدعي زماناً بل هو في نفسه تبين وانكشاف، وذلك إذا كان صفة للحادث وإحاطة وإدراكاً وإذا كان صفة للقديم فهو مع وحدته محيط بكل الأشياء[3].

وعود على بدء فالله سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ولايحق للمؤلف أن يتقول ما كتبه في علم الله عز

---

(١) فصلت/ ٥٣.

(٢) الذاريات/ ٢٠ ـ ٢١.

(٣) ص ٢٣٣ نهاية الإقدام.

وجل لأنه يتنافى مع أبسط العلوم الإسلامية فالله سبحانه وتعالى هو الخالق ولذا جاءت الآية موضحة ذلك ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1] وقال أيضاً: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾[2] وقال أيضاً: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾[3]. ولقد اختار الله الأنبياء وجعلهم قدوة في سلوكهم الذي سيقومون به لاحقاً.

فلو نفي علم الله عنهم لما كان تحقق الاختيار الأمثل قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[4].

فالاختيار والاصطفاء مبني على علم بكل مايقومون به من عمل وجعلهم قدوة لعلمه بأنهم سيكونون ممثلين للمنهج الإلهي سلوكاً وأخلاقاً وطهراً وسمواً.

وإن الآيات المتناثرة في كتاب الله عز وجل كثيرة جداً وكلها تثبت علم الله الأزلي في كل شيء يجري في ملكوته ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[5]، ولكن المؤلف أراد أن يجعل العلم سبباً في حرية الاختيار وهنا الطامة الكبرى، وعلم الله عز وجل بنوعيه اختيار العبد لمشيئة

---

(١) الملك/ ١٤.

(٢) محمد/ ٣٠.

(٣) الأنبياء/ ٨١.

(٤) الدخان/ ٣٢.

(٥) الأنعام/ ١٠١.

ذاتية لا علاقة لها بجهل العبد لعلم الله في نوع الاختيار، فيقوم العبد باختيار عمل ما ضمن مشيئة ذاتية لايجبره أحد عليها، وإنما اراد الله بمشيئته الكلية أن يختار العبد ما يريد ضمن دائرة قدرته على الاختيار الفردي ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1] فعلم الله عز وجل بعمل العبد علم قدرة كاشفة للغيب وبيان لما سيقع دون إكراه للعبد في اختياره لما شاء بإرادته الفردية التي سيحاسب عليها حسب اختياره ولا يرضى الله لعباده الكفر، وإنما أرادوه باختيارهم على الرغم من إرسال الأنبياء والرسل والكتب المنزلة التي توضح المنهج الإلهي الكامل ليسترشد العبد باختياره منهج الله عز وجل الموضح في كتابه المنزل، وسأضرب مثلاً في تعلق العلم بالبيان والكشف لما سيقع دون تدخل مباشر في إيجاد ما علم مسبقاً، فالفلكي الذي يعلم وقوع الكسوف أو الخسوف وتحديد الدقيقة التي سيقع فيها ومكانه هل يؤدي علمه بالكسوف أو الخسوف أن يؤثر في حدوثه أو عدمه، ولك المثال الآخر لعدم تعلق العلم بالشيء بحدوث الشيء أو عدمه فالعالم بالكمبيوتر الذي يعلم قوانين برامجه في إحداثيات القوانين الرياضية لحل المسائل الفيزيائية أو غيرها هل يتدخل في اختيار نوعية إيجاد الحلول لكل مسألة؟ فالله عز وجل الذي خلق الكون ويعلم قوانينه ويعلم كل شيء فيه

---

(١) الكهف/ ٢٩.

لايجبر أحداً على اختيار شـيء وإنما علمـه كشف وبيان لما سيقع وليس فيه أي إجبار لاختيار ما لأي إنسان إلا حسب مشيئته التي يعلم هو ماهية علم الله في هذا الاختيار، ولا يشعر بأي قوة تؤثر فيه ولا في نوعية اختياره.

وأما اعتماده على آية يستند إليها في مقولته المضللة ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[1].

فعلم الله عز وجل في اختيار الإنسان للجهاد والصبر علم قديم بهم ولكن حتى حرف غاية وهي التي توضح كون البلاء هو تحقيق غاية وهو ماكان يعلمه الله باختياركم الشخصي ليكون الحساب بعد ذلك بعد انكشاف علم الله السابق بأنكم ستختارون الجهاد والصبر لتفوزوا بالرضوان، فيتطابق علم الله الأزلي بالكسب الذي قام به العبد، وليس علماً بعد جهل بهم وإنما هو تطابق العلم الأزلي بما سيقع على أرض الاختيار الشخصي، فلا يكون فيه إجبار وإنما هو محض اختياره لما كان معلوماً لله عز وجل.

وأما الأحاديث التي وضعها هدفاً له في تفنيدها وتحليلها وصب كل هجومه عليها فلا تتعارض مع كل ما قدمنا، لأن الله يعلم ما سيقوم به العبد وهو العالم بما كان وما سيكون وما هو كائن وليس فيه إجبار للإنسان للاختيار إلا بمشيئته الذاتية لأن الإنسان لم

---

(١) محمد/ ٣١.

يعلم ولا يدري أي شيء عن علم الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[1].

فعدم علم الإنسان بعلم الله فيه لن يكون له أي تأثير بنوعية اختياره، وليس في علم الله أي أثر يتعلق في إجبار الإنسان لاختيار الخير أو الشر.

ولذا نجد أن هذه المقولة المضللة لاتنطلي إلا على من لا عقل له ولا معرفة له بعلم الله في هذا البحث المهم وهو حرية الاختيار وعلاقته بعلم الله عز وجل.

وإن الخطأ الفاحش الذي وقع فيه المؤلف في هذا الموضوع يدلنا على مجموعة أخطاء وقع فيها في كل كتابه الذي لابد من رد علمي على تحليلاته في رد العديد من الأحاديث الصحيحة التي أدت به إلى التطاول على كبار المحدثين وعلماء الحديث، وخاصة البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[2].

---

(1) البقرة/ ٢٥٥.

(2) الحج/ ٨ ـ ١٠.

العلماء

قال الله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾.

قال لابلاس: (إن القدرة التي وضعت الأجرام السماوية في المجموعة الشمسية، وكثافتها وأقطارها، ومداراتها، وحددت مدة دوران السيارات حول الشمس، والتوابع حول السيارات بنظام مستمر إلى ماشاء الله، لايمكن أن تنسب إلى المصادفة)[1].

قال سبنسر: (إننا مضطرون إلى الاعتراف بأن الحادثات مظاهر قدرة مطلقة، متعالية عن الإدراك)[2].

قال إبراهيم لنكولن: (إنني لأعجب لمن يتطلع إلى السماء، ويشاهد عظمة الخلق ثم لايؤمن بالله).

والدكتور أ. ج. كرونين الذي بدأ حياته ملحداً، وبعد أن وضع أصابعه على ينابع الإيمان قال: (إذا تأملنا الكون وأسراره وعجائبه، ونظامه ودقته، وضخامته، وروعته لابد أن نفكر في إله خالق. من ذا الذي يتطلع إلى السماء في ليلة صيف صافية، ويرى النجوم اللانهائية تتألق بعيداً، ثم لايؤمن بأن هذا الكون كله

---

(١) الله والعلم والحديث د. عبد الرزاق نوفل ص٢٠.

(٢) نفس المصدر ص٢٠.

لايمكن أن يكون وليد المصادفة العمياء؟ إلى أن يقول (فلا يمكن أن يكون هذا نشأ من العدم ، فلا شيء يخرج من لاشيء)[1] .

وقال أوبختون : (إن وراء هذا الكون عقلاً مدبراً حكيماً ، هو العقل ، هو الروح الأعظم ، هو الله سبحانه وتعالى)[2] .

وهذا آرثر كوميتون أحد حائزي جائزة نوبل في الفزيقا للكشوف الذرية يقول : (لست في معمل أعنى بإثبات حقيقة الحياة بعد الموت ، ولكني أصادف كل يوم قوى عاقلة ، تجعلني أحس إزاءها أحياناً بأنه يجب أن أركع احتراماً لها)[3] .

قال فرانك ألان : (لابد لهذا الكون من خالق أزلي ، ليس له بداية ، عليم محيط بكل شيء قوي ليس لقدرته حدود ، ولابد أن يكون هذا الكون من صنع يديه) .

قال كرسي مريسون في كتابه العلم يدعو للإيمان : (إن العلم الحديث يثبت وجود الله وينتهي إلى الإيمان به وبوحدانيته بما لايحتمل الشك أو الجدل) .

وقال كريس موريسون : (إن تقدم الإنسان من الوجهة الخلقية وشعوره بالواجب هو أثر من آثار الإيمان بالله والاعتقاد

---

(١) نفس المصدر ٢١ .

(٢) نفس المصدر ٢١ .

(٣) نفس المصدر ٢١ .

بالخلود)[1].

وقال الدكتور جون وليم كلوتس: (إن هذا العالم الذي نعيش فيه، قد بلغ من الإتقان والتعقيد درجة تجعله من المحال أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة، إنه مليء بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج إلى مدبر، والتي لايمكن نسبتها إلى قدر عشوائي، ولاشك أن العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن إيماننا بوجوده)[2].

وقال الدكتور إدوارد لوثر كيسيل: (إن التطور لايعتمد على المصادفة العمياء، وعلى ذلك فإنه لاخطر من التسليم بأن هناك حكمة وتدبيراً وراء الخلق ووراء القوانين التي توجهه، ولا مفر كذلك من التسليم بأن التطور ذاته قد صمم بحكمة، وأنه يحتاج هو أيضاً إلى خالق يبدعه)[3].

قال لايبنز: (إن الذرات تسير بإرادة الله، وتعمل بقدرته وبصورة تظهر منها أنها تتصل بعضها ببعض وهي في الحقيقة غير متصلة، ولكن قدرة الله تجعل كل ذرة تسير سيراً يوافق سيرَ الذرات الأخرى)[4].

---

(١) ص ٢٠٥.

(٢) الجغرافيا القرآنية ص٥.

(٣) الجغرافيا القرآنية ص٥.

(٤) الجغرافيا القرآنية ص٥.

قال روبرت مويس بيج الحاصل على دكتوراه في العلوم ومكتشف الرادار:

(إن الإيمان بوجود الله من الأمور الخاصة التي تنبت في شعور الإنسان وضميره، وتنمو في دائرة خبرته الشخصية، وقال: (فالإله الذي نسلم بوجوده لاينتمي إلى عالم الماديات، ولانستطيع باستخدام العلوم الطبيعية ولا بحواسنا المحدودة أن ندركه؛ لأنه يشغل دائرة غير دائرتها المحدودة الضيقة، ولابد لنا أن نسلم أن هذا الكون المادي الذي يخضع لقيود الزمان والمكان ليس إلا جزءاً يسيراً من الحقيقة الكبرى التي ينطوي عليها هذا الوجود).

ثم قال: (فإذا درس الإنسان الشروط التي يلزم توافرها لقيام هذه العلاقة (بينه وبين خالقه) واتجه بقلبه وكليته نحو تحقيق هذه الشروط فإنه سوف يشاهد الحقيقة كاملة، عندئذ يغمر الإيمان قلبه، ويؤثر في حياته ولايدع في نفسه مجالاً للشك، وإذ ذاك يكون الله أقرب إليه من نفسه ويصير إيمانه به يقيناً)[1].

قال مبريت ستانلي كو نجدن (عالم طبيعي وفيلسوف):

(إننا نستدل على هذه الظواهر جميعاً بآثارها، معتمدين في ذلك على الاستدلال المنطقي الصرف وعلى ما لدينا من حقائق أولية بسيطة تتعلق بهذه الظواهر والأشياء. وإننا لنستطيع أن

---

(١) ص١٥، الله يتجلى في عصر العلم.

نستخدم نفس المنطق الاستدلالي في إدراك وجود الله تعالى ومعرفة صفاته، إننا نستطيع أن نستخدم المنطق لكي ندرك أن الخالق لهذا الكون له صفات تناظر الصفات التي نجدها في أنفسنا، فلابد أن يكون سبحانه متصفاً بالحكمة والإرادة والقدرة)[1].

ثم قال: (إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه وتعالى ويدل على قدرته وعظمته، واستشهد المترجم بقول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[2].

قال جو كليفلاند كوتران: (من علماء الكيمياء والرياضة).

قال: (إذا فكرت تفكيراً عميقاً فإن العلوم سوف تضطرك إلى الاعتقاد في وجود الله)[3].

ثم يقول: (القانون الدوري الذي اكتشفه العالم مالديف ليدل على الحكمة، وهل يتصور عاقل أو مفكر أن يعتقد أن المادة المجردة من العقل والحكمة قد أوجدت نفسها بنفسها بمحض المصادفة)[4].

---

(١) نفس المصدر ص١٧.

(٢) النمل/ ٦٠.

(٣) الله يتجلى في عصر العلم ص٢١.

(٤) نفس المصدر ص٢٤.

ثم يقول: (وتدل الشواهد جميعاً على أن هذا الخالق لابد أن يكون متصفاً بالعقل والحكمة)[1].

(وهو دائم الوجود تتجلى آياته في كل مكان وقدرته وحكمته تدل على قدرته أن يخلق هذا الكون وينظمه ويدبره)[2].

وقال إدوارد لوثر كيسيل (أستاذ علم الأحياء ورئيس القسم بجامعة فرانسيسكو):

(إن الكشوف العلمية الحديثة التي تشير إلى ضرورة وجود إله لهذا الكون قد لعبت دوراً كبيراً في هذه العودة إلى رحاب الله والاتجاه إليه)[3].

وقال: (إن الاعتقاد في أزلية هذا الكون ليس أصعب من الاعتقاد في وجود إله أزلي)[4].

ثم يستطرد قائلاً: (بأن قوانين الديناميكيا الحرارية تثبت خطأ القول بأزلية الكون وذلك بسبب انتقال حراري مستمر من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة، وهذا يدل على أن الكون يتجه إلى فكرة نضوب الطاقة فإذا كانت لهذا الكون نهاية فلابد أن يكون ليس أزلياً).

---

(١) نفس المصدر ص٢٤.

(٢) نفس المصدر ص٢٤.

(٣) نفس المصدر ص٢٦ ـ ٢٧.

(٤) نفس المصدر ص٢٦ ـ ٢٧.

ثم قال: (فدراسة العلوم بعقل متفتح سوف تقودنا بدون شك إلى إدراك وجود السبب الأول الذي هو الله)[١].

وقال: (الخلق الإبداعي ناتج عن التطور الإبداعي وهو وسيلة الخالق في خلقه والخلق الإبداعي هو التفسير الوحيد الذي يوضح لنا سر هذا الوجود)[٢].

وقال: (كثير ممن آمنوا بالله ورفضوا فكرة الخلق بمحض المصادفة، وقبلوا فكرة الخلق فعلى أساس التطور وهي التي تقود العقل الأمين المتجرد من التحيز إلى فكرة وجود الله تعالى)[٣].

ويعود فيقول: (إن دراسة العلوم بعقل متفتح تجعل الإنسان يسلم بضرورة وجود الله والإيمان به)[٤].

ولتر أوسكار لندبرج (عميد معهد هو رمسل وعالم الفسيولوجيا والكيمياء الحيوية).

قال: (للعالم المشتغل بالبحوث العلمية ميزة على غيره إذا استطاع أن يستخدم هذه الميزة في إدراك الحقيقة حول وجود الله).

ثم يقول: (يرجع إنكار وجود الله في بعض الأحيان إلى ما

---

(١) نفس المصدر ص٢٨.

(٢) نفس المصدر ص٢٨.

(٣) نفس المصدر ص٣٠.

(٤) نفس المصدر ص٣٠.

تتبعه بعض الجماعات أو المنظمات الإلحادية أو الدولة من سياسة معينة ترمي إلى شيوع الإلحاد ومحاربة الإيمان بالله بسبب تعارض هذه العقيدة مع مصالح هذه الجماعة أو مبادئها).

ثم يقول: (إن بعض الاعتقادات الخاطئة التي تصور الإله على صورة الإنسان بدلاً من الاعتقاد بأن الإنسان قد خُلق خليفة الله في الأرض قد أدت ببعض المفكرين التخلص من الصراع الفكري بنبذ فكرة الله كلية. ولذلك لابد لنا من تجريد فكرة الله من كل الشوائب لنصل إلى دراسة الظواهر والقوانين التي تكشف أن الإنسان هو الذي خلق ليكون خليفة لله فعندها يسير في الطريق السليم نحو الإيمان بجلاله وقدرته)[1].

ثم قال: (فالإيمان بالله مصدر للسعادة لاينضب في حياة كثير من البشر)[2].

بول كلارنس إبرسولد (مدير قسم النظائر والطاقة النووية).

يردد قول فرانسيس بيكون: (إن قليلاً من الفلسفة يقرب الإنسان من الإلحاد أما التعمق في الفلسفة فيرده إلى الدين)[3].

---

(١) قال الله تعالى: ﴿إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة/ ٣٠]. الله يتجلى في عصر العلم ص٣٣.

(٢) نفس المصدر ص٣٤.

(٣) نفس المصدر ص٣٥.

(ولكننا نصل إلى الإيمان الكامل بالله عندما نمزج بين الأدلة العلمية والأدلة الروحية):

(ولا أستطيع أن أتصور الله تصوراً مادياً بحيث تستطيع أن تدركه الأبصار أو أن يحل في مكان دون الآخر، أو أن يجلس على كرسي أو عرش كما تصفه بعض الكتب المقدسة. ولكن الله تعالى كائن روحاني لطيف بل هو فوق ذلك)...

(وهو العليم الذي لانهاية لعلمه والحكيم الذي لاحدود لحكمته، القوي إلى أقصى حدود القوة، فهو يتصف بالعقل والحكمة والإرادة)[1].

(ومعجزة الحياة بداية مقدسة وتوجيه مقدس وتدبير إلهي محكم)[2].

جورج إيرل دافيز (عالم الطبيعة ورئيس قسم البحوث الذرية بالبحرية الأمريكية) قال:

(نستطيع أن نتحقق من وجود الله باستخدام العقل والاستنباط مما نتعلمه ونراه، والمنطق الذي نستطيع أن نأخذ به، والذي لايمكن أن يتطرق إليه الشك هو أنه ليس هناك شيء يستطيع

(١) نفس المصدر ص٣٧.

(٢) نفس المصدر ص٣٨.

أن يخلق نفسه)[1].

ثم قال: (كلما ارتقى وتقدم تطور المخلوقات كان ذلك أشد دلالة على وجود خالق مدبر وراء هذا الخلق)[2].

ثم قال: (إن كل ذرة من ذرات هذا الكون تشهد بوجود الله)[3].

توماس دافيد باركسن (أستاذ الكيمياء ورئيس قسم الكيمياء بمعهد بحوث ستانفورد) قال:

(إنني أقرأ النظام والتصميم في كل ما يحيط بي من العالم غير العضوي، ولا أستطيع أن أسلم بأن يكون كل ذلك قد تم بمحض المصادفة العمياء التي جعلت ذرات هذا الكون تتألف بهذه الصورة العجيبة، إن هذا التعميم يحتاج إلى مبدع ونحن نطلق على هذا المبدع اسم الله)[4].

وقال: (ولكن هذا النظام الذي نشاهده في العالم من حولنا ليس مظهراً من مظاهر القدرة على كل شيء فحسب، بل إنه يتصف فوق ذلك بالحكمة والاتجاه نحو تحقيق صالح الإنسان مما

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص٤١.

(٢) نفس المصدر ص٤١.

(٣) نفس المصدر ص٤١.

(٤) نفس المصدر ص٤٣.

يدل على أن اهتمام الخالق بنفع عباده)[1].

(والماء له خواص فريدة في نوعها تدل كلها على أن مبدع هذا الكون قد رسمه وصممه بما يحقق مصالح مخلوقاته)[2].

ثم قال: (إنني أرى في كل ظاهرة من هذه الظواهر أكثر من مجرد الخلق والتدبير المجرد عن العاطفة، إنني ألمس فوق ذلك كله محبة الخالق لخلقه واهتمامه بأمورهم)[3].

جون وليام كولنس (عالم في الوراثة ـ أستاذ علم الأحياء والفسيولوجيا بكلية المعلمين) قال:

(إن هذا العالم الذي نعيش فيه، قد بلغ من الإتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة... والعلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن إيماننا بوجوده)[4].

إيرفنج وليام نوبلوتشي (أستاذ العلوم الطبيعية في جامعة ميشيجان) قال:

---

(١) نفس المصدر ص٤٤.

(٢) نفس المصدر ص٤٤.

(٣) نفس المصدر ص٤٥.

(٤) نفس المصدر ص٤٦.

(إن علماء الفلك الأمناء ردعتهم عجائب هذا الكون إلى الاعتقاد بأنه لابد أن يكون لهذا الكون باتساعه الفسيح، ونظامه المعجز مدبر لانراه ولانستطيع أن ندرك كنهه).

(ولكني أؤمن بوجود الله إنني أعتقد في وجوده سبحانه؛ لأنني لاأستطيع أن أتصور أن المصادفة وحدها تستطيع أن تفسر لنا ظهور الإلكترونيات والبروتونات الأولى أو الذرات الأولى أو الأحماض الأمينية الأولى أو البروتوبلازم الأول أو البذرة الأولى أو العقل الأول، إنني أعتقد في وجود الله لأن وجود القدسي هو التفسير المنطقي الوحيد لكل مايحيط بنا من ظواهر هذا الكون الذي نشاهده)[1].

رسل لويل مكستر (أستاذ علم الحيوان ورئيس القسم بكلية هوتين) قال:

(إن المنطق السليم يدفعنا إلى التسليم بوجود عقل مقدس هو الذي خلق ودبر كل الاختلافات والاتفاقات التي نتحدث عنها (أنواع الحيوانات والنباتات الموجودة في الطبيعة التي لاتحصى)[2].

والمترجم يستشهد بقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم، ص٥٤.

(٢) نفس المصدر ص٥٧.

﴿لِّلْعَالِمِينَ﴾[1].

لورنس كولتون ووكر (اختصاصيّ في علوم الغابات وأستاذ جامعة في علم الغابات) قال:

(لكي يدرك الإنسان روعة هذا العالم وما وراءه من جلال الحكمة والتدبير لابد أن يدرس بدقة وأن يتأمل مايدور في الغابات، والحقول، عندئذ سوف يجد أن ماكان يعده طبيعياً ليس إلا إعجازاً إلهياً يعلو فوق مستوى البشر، وتعجز العقول عن إدراك كنهه، وهنا لاسبيل إلا إلى الإيمان بالله وبقدرته وجلاله)[2].

وقال: (إن تلك التفاعلات الدقيقة، والحركة المنظمة، والخضوع لقوانين ثابتة ما تكشف عنه هذه التفاعلات (مع المركبات الكيماوية) وأمثالها التي لايحصيها عد ولا حصر، ليست إلا دليلاً وشاهداً على أن الكون منظم غاية التنظيم مما أطلق عليه هجلز (نظرية كمال الكون) وكما قال الفيلسوف بول: (إن قدرة الله تتجلى في كل شيء، وكل شيء يقوم بقدرته) وكما يقول فيلبس: (لقد ظهر الحق، فمنذ بدأ الله هذا الكون تتجلى آياته وقوته الخالدة في كل مايقع عليه الحس أو يحيط به العقل)[3].

---

(١) الروم/ ٢٢.

(٢) نفس المصدر ص٦٠.

(٣) الله يتجلى في عصر العلم ص٦٧.

جورج هربرت بلونت (أستاذ الفيزياء التطبيقية ـ كبير المهندسين بجامعة كاليفورنيا) قال :

(إنني أؤمن بالله وهي ليست مجرد قضية فلسفية بل لها قيمتها العلمية العظمى)[1] .

ثم يقول : (والأدلة على وجود الله أنواع منها الأدلة الكونية (وهي كونه متغيراً والمتغير لايكون أبدياً ولابد له من حكيم مدبر)[2] .

(وعنده فكرة الألوهية إحدى بديهيات الحياة لأن الإنسان المفكر لابد أن يصل ويسلم بوجود إله منظم لهذا الكون)[3] .

ويقول : (إن المؤمن يقيم إيمانه على بصيرة) وقال المترجم : هذا مايدل عليه القرآن بقول الله تعالى : ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4] .

وقال : (إن خوف بعض الناس من ممارسة دكتاتورية فكرية دينية تبعدهم عن الإيمان ، ولكن هذه الممارسة ليست من الدين وإنما من

---

(١) نفس المصدر ص٧٩ .

(٢) نفس المصدر ص٨٠ .

(٣) نفس المصدر ص٨١ .

(٤) الحج/ ٥٤ .

رجاله، وعلينا أن نتحرر من هذه الأخطاء بالعودة إلى الله وحده)[1].

دونالد روبرت كار (أستاذ الكيمياء الجيولوجية بجامعة كولومبيا) قال:

(إن دراستي الجيولوجية قد قادتني إلى الاعتقاد بوجود خالق لهذا الكون، فليس من الغريب إذن أن أعتقد أن هذا الكون ليس إلا مظهراً من مظاهر قدرة الله)[2].

(إن الكيمياء الجيولوجية تشير إلى أن الكون قد نشأ منذ نحو خمسة بلايين سنة، وعلى ذلك فإن هذا الكون لايمكن أن يكون أزلياً. ولو كان كذلك لما بقيت فيه أي عناصر إشعاعية، وهذا يتفق مع القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية) وإن مثل هذه النظرة (لعدم أزلية الكون) إلى الأمور تجعلنا نزداد تقديراً لعظمة الله وجلاله وأردد اللحن دائماً (ياإلهي العظيم، عندما أنظر بعجب ورهبة إلى كل العوالم التي صنعتها يداك، وأبصر النجوم، وأسمع هدير الرعد وزمجرته، عندئذ تتجلى لي قوتك في كل أرجاء الكون، عندئذ تغني روحي وتناجي إلهي الكبير: ما أعظم إبداعك وما أعظم إبداعك)[3].

---

(١) نفس المصدر ص٨٢.

(٢) الله يتجلى في عصر العلم ص٨٥.

(٣) نفس المصدر ص٨٧.

كلودم هاثاواي (مصمم العقل الإلكتروني للجمعية العلمية لدراسة الملاحة الجوية بمدينة لانجلي فيلد).

يردد قول أوجستين: (لقد خلقتنا الله لنفسه، وإن أرواحنا لتبقى قلقة حائرة حتى تجد راحتها في رحابه)[1].

(إن أسباب إيماني بالله ما أقوم به من الأعمال الهندسية، فبعد اشتغالي سنوات عديدة في عمل تصميمات لأجهزة وأدوات كهربائية، ازداد تقديري لكل تصميم أو إبداع أينما وجدته، وعلى ذلك فما يتفق مع العقل والمنطق أن يكون ذلك التصميم البديع للعالم من حولنا من إبداع إله أعظم لا نهاية لتدبيره وإبداعه)[2].

ثم قال: (إن هذا الجهاز المخ الإلكتروني الذي صنعته فيه علاقات متشابكة متداخلة ومعقدة في كل ذرة من ذرات تركيبه وإذا كان هذا الجهاز يحتاج إلى تصميم أفلا يحتاج ذلك الجهاز الفسيولوجي الكيمي البيولوجي الذي هو جسمي والذي ليس بدوره إلا ذرة بسيطة من ذرات هذا الكون اللانهائي في اتساعه وإبداعه إلى مبدع يبتدعه)[3].

ألبرت مالوكب ونشتر (متخصص في علم الإحياء ـ أستاذ

---

(١) نفس المصدر ص٨٨.

(٢) نفس المصدر ص٨٩.

(٣) الله يتجلى في عصر العلم ص٩٤.

الأحياء بجامعة بايلور) عميد أكاديمية العلوم بفلوريدا .

قال : (إن اشتغالي بـالعلوم قد دعـم إيمـاني بـالله حتـى صـار أشد قوة وأمتن أساساً مما كان عليه من قبل)[1] .

(ليس مـن شـك أن العلـوم تزيـد الإنسـان تبصـراً بقــدرة الله وجلاله ، وكلما اكتشف الإنسان جديداً في دائره بحثه ودارسـته زاد إيمانه بالله) .

(إن دراسـة التكـاثر في الأحيــاء تعتـبر أروع دراســات علــم الأحياء وأكثرها إظهاراً لقدرة الله)[2] .

العالم الروسي أوبريان رئيس معهـد الكيميـاء الحيويـة قـال : (إن الحياة لايمكـن أن تبـدأ مـن العـدم ، وإن الحيـاة المعقـدة للإنسـان والحيوان والنبات لابد أنها بدأت من حياة ، ولذا يستحيل أن تخلـق الحياة من لاحياة أو أن تخلق مواد حية من موادميتة ، أيمكـن تحويـل الأحجار والرمال إلى إنسان . . . ولو بعد ملايين السنين؟)[3] .

وجـاء هـذا الإعـلان بعـد إجـراء تجـارب دامـت ٣٦ عامـاً في الأكاديميـة السـوفيتية لإثبـات إمكانيـة إيجـاد الخليـة الحيـة مـن المـواد العضوية ولم تفلح كل التجارب حتى أوقفوا هذه التجـارب (وهـذا

---

(١) نفس المصدر ص١٠٤ .

(٢) نفس المصدر ص١٠٦ .

(٣) الله والعلم الحديث ص١٣٩ .

اعتراف ضمني بوجود خالق لهذا الكون).

قال أناكساغورس: (من المستحيل على قوة عمياء، أن تبدع هذا الجمال وهذا النظام اللذين يتجليان في هذا العالم، لأن القوة العمياء لاتنتج إلا الفوضى، فالذي يحرك المادة هو عقل رشيد بصير حكيم)[1].

أفلاطون (هو الذي جاء ببرهان النظام) ويقول: (إن العالم آية في الجمال والنظام ولايمكن أبداً أن يكون هذا نتيجة علل اتفاقية، بل هو صنع عاقل كامل، توخى الخير ورتب كل شيء عن قصد وحكمة).

مالبرانش قال: (إن الخلق لاينقطع، إذ ليس حفظ المخلوقات من قبل الله سوى خلق متصل، سوى إرادة واحدة تستمر وتفعل بلا انقطاع).

قال أينشتاين: (إن الشعور الديني الذي يستشعره الباحث في الكون هو أقوى حافز على البحث العلمي وأنبل حافز)[2].

ثم يقول: (إن ديني هو إعجابي، في تواضع، بتلك الروح السامية التي لاحد لها، تلك التي تتراءى في التفاصيل الصغيرة القليلة التي تستطيع إدراكها عقولنا الضعيفة العاجزة، وهو إيماني

---

(١) قصة الإيمان ص٢٩.

(٢) قصة الإيمان ص٣٤.

العاطفي العميق بوجود قدرة عاقلة مهيمنة تتراءى حيثما نظرنا في هذا الكون المعجز للأفعال، إن هذا الإيمان ليؤلف عندي معنى الله)[1].

قال توماس هكسلي: (الدين والعلم توأمان متلاصقان فصلهما يؤدي إلى موتهما، فإن العلم ينمو متى كان دينياً، والدين يثبت متى كان علمياً).

قال ماكس بلانك العالم الطبيعي الذي فتح الطريق إلى أسرار الذرة (إن الدين والعلوم الطبيعية يقاتلان معاً في معركة ضد الشك والجحود والخرافة، ولقد كانت الصيحة الجامعة في هذه الحرب وسوف تكون دائماً إلى الله)[2].

قال بيار غراسيه: (إن القول بالمصادفة الخالقة للتراكيب والأنواع الجديدة قول مخالف للعقل العلمي والوقائع العلمية، وإنه من الحماقة الاعتقاد بأن الانتقاء الطبيعي قادر على إنشاء جهاز معقد كالعين بكل ماتحتويه من مؤهلات دقيقة وعجيبة، بل لقد أبدى داروين نفسه هذا الحرج في تفسير نشوء العديد من الأعضاء المعقدة في الأحياء. ولذلك فالانتقاء الطبيعي عن طريق الصراع أو المصادفة عاجز عن تفسير ظهور أنواع جديدة مختلفة عن الأنواع

---

(١) مع الله السماء د. أحمد زمي.

(٢) الدين والعلم الحديث ص٤٩.

السابقة وأكثر منها تعقيداً)[1].

وهذا كله أوحى إلى غراسيه (بوجود قوة منظمة أي عناية إلهية بدل اللجوء إلى اعتباط المصادفات الذي هرب إليه مونو وجاكوب فراراً من الاعتراف بغائية في الطبيعة وتنظيم في الأحياء (وارتقائيه في التحولات).

قال موريس بوكاي: (نظرية الخلق) ورأى أن الكشوف العلمية تتوافق مع الإشارات العلمية في القرآن الكريم بأن التطور المشير إليه القرآن الكريم هو اقتران بعملية خلق إلهي موجه لا بمصادفات عمياء ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[2].

والتطور هنا هو ظهور أنواع منتظمة ارتقائية عن طريق الخلق الإلهي لا عن طريق المصادفة وليس في ذلك ما يتنافى مع القول بأن الإنسان خلق في أحسن تقويم، فلماذا لا نفهم من أحسن تقويم الخلق الوحيد والتام والنهائي ثم يقول: (الإيمان بالتطور والخلق لا يتنافيان)[3].

قال الشيخ نديم الجسر: (إن مذهب دارون) عند ثبوته، لايتعارض مع أحكام القرآن ولا مع الإيمان بوجود الله الخالق العظيم)[4].

---

(١) العلمانية (محسن الميلي) ص١٥٦.

(٢) نوح/ ١٤.

(٣) نفس المصدر ص١٦١.

(٤) قصة الإيمان ص١٦٨ (الرسالة الحميدية).

الدليل الفطري الداخلي
في عمق النفس البشرية

الإنسان كائن يحتوي في جنباته طاقات فكرية ووجدانية ، ويملك قدرات محدودة ، ومع تقدم المعرفة العلمية ارتقى في تسخير كل مافي الكون المحسوس له واكتشف الكثير الذي يدركه عقله ، وغاب عنه الأكثر ، فهو لايدرك كل مافي السموات ولايحيط بكل مافي الأرض ، ولكنه في عمق وجدانه يشعر بالحدس أن طاقة عظمى هي التي تسير هذا الكون العظيم .

إن كل شيء حول الإنسان يدله على نظام وقدرة خلاقة ، وهذا مايلمسه الإنسان في فطرته السليمة ، وهذا العقل الباطني الداخلي يشعر به الإنسان في حال القيام بالخطيئة ، وعندما تنزل بها فجيعة أو يهبط به ضر أو تحيط به الأمراض يبدأ مرحلة اللجوء إلى القدرة الخفية التي يؤمن بها في فطرته ، والإنسان القديم سماها بتسميات مختلفة ، واعتقد اعتقادات كلها منبعها هذه الفطرة .

والإنسان السوي الذي لايعيش مع الفلاسفة في تعقيداتهم حول قدم العالم وحدوثه ، وأزلية المادة يجد أن الله الخالق لهذا الكون في أعماق نفسه ، وتأتي الأدلة العقلية والنقلية والفلسفية لتثبت له ذلك علمياً بأن هذا العالم مخلوق وله إله ، ويرى أثر ذلك

في أعماق وجدانه النفسي فلا يستطيع اقتلاع هذه العقيدة من نفسه مهما حاول الفلاسفة والملحدون والماديون ذلك، ولذا نجد أن أكثر الناس يؤمنون بوجود خالق لهذا الكون وهو نداء الفطرة الداخلية في أعماق النفس البشرية. وكل ذلك يؤدي إلى حالة الطمأنينة بالاعتماد على قدرة خالقه عظيمة قادرة على حل مشاكله المعقدة، ويزداد سكينة عندما تلبي هذه القدرة العظيمة حاجاته في كل طلب ودعاء واستغاثة. . . ؟

قال ابن سينا:

(إن إدراكنا لوجود الله، هو من الإدركات الأولية، التي لاتحتاج إلى جدل البراهين العقلية (فإنه كان يمكن أن لا أكون، لو كانت أمي ماتت قبل أن أولد حياً فلست إذاً، كائناً (واجب الوجود) ولست دائماً أو (لا نهائياً) فلابد من كائن واجب الوجود، دائم لانهائي يعتمد عليه وجودي، وهو الله الذي ندرك وجوده إدراكاً أولياً، بدون أن نتورط في جدل البراهين العقلية، ولكن على الذين لم يقدر لهم هذا الإيمان القلبي أن يسعوا للوصول إليه بعقولهم).

كانطَ يقول: (إننا نجد في قرارة أنفسنا شعوراً قوياً لا سبيل إلى إنكاره يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ويؤنبنا ويعذبنا عند ارتكاب الذنوب والأثام فمن أين أتانا هذا الشعور؟ إنه في زعم كانط ليس آتينا من الإحساس والتجربة لأن الحواس لاتنقل لنا إلا

صور الأشياء، وليس في الأشياء مايسمى تأنيباً وتعذيباً للضمير، وليس آتينا من العقل النظري لأن العقل إنما ينحصر عمله في الإدراك الحسي وتحويله إلى إدراك عقلي، فمن أين إذن يأتينا هذا الشعور القوي الواضح الذي لاسبيل إلى إنكاره)؟

ويصل به الأمر إلى أن هذا مانسميه (العقل العملي) وهو قانونياً الأخلاقي ويستدل على القانون الأخلاقي وحرية الإرادة ومن ثم إلى خلود النفس والإيمان بالله وهو الديان الحكم العدل.

قال الله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾.

وبعد دراسة للأدلة الاستناجية المنطقية يزداد إيمانه بالله عز وجل. وإن العديد من المؤمنين الذين قرأنا لهم سبب إيمانهم يدلنا على عمق الإيمان الفطري الذي ازداد بالاستنتاج العلمي فصار يقيناً ضمن التجربة الشخصية الفردية ثم تزداد الهداية وهذا ما نراه في قول الله تعالى: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ والمتابع لحياة الأنبياء والعلماء والصالحين يستشعر أن إيمانهم العقلي وإيمانهم الوجداني جاء في أطوار تجربة شخصية طويلة ومعاناة حتى يصلوا إلى اليقين بالله عز وجل، وقصة سيدنا إبراهيم التي ذكرها القرآن هي إحدى هذه التجارب التي جاءت معبرة عن نموذج من هذا الإيمان،

وهروب سيدنا محمد ﷺ إلى غار حراء والخلوة لأيام طويلة لتدلنا على عمق الوجدان في الوصول إلى الحقيقة المطلقة.

وقصة موسى عليه السلام التي ذكرت في القرآن المعبرة عن معاناة كبيرة حتى وصل إلى الحقيقة المطلقة وكلها نماذج دعت إليها الفطرة للوصول إلى اليقين المطلق.

وإن كل الدراسات التي أجريت على الملحدين والفلاسفة الماديين دلت على هروبهم من الإجابات العلمية المنطقية عن إمكانية نفي وجود الله. . . وذلك بالقول بالمصادفة، والفوضوية والعبثية، والعدم، والإقرار بالعجز العلمي عن القدرة المطلقة لإمكانية البرهنة على نفي القدرة الخالقة المنظمة القاصدة للإيجاد والخلق. وقد أثبتنا في البحوث الماضية ذلك. فعدم إمكانية إيجاد الخلية الأولى أثبت الملحدون والعلمانيون هروبهم وأقروا بالعجز عن الجواب العلمي فقالوا بالمادية الجدلية، والتولد الذاتي والطبيعة العمياء.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾.

إن نفي القرآن القدرة لكل بني البشر الادعاء الكامل بشهودهم اليقيني كيف خلق الكون وكيف خلق الإنسان؟

حتى إن الإنسان نفسه لم يشهد خلقه، وإنما شعر بوجوده بعد سن الرشد فأيقن عقلياً بأنه كائن بشري عاقل ولم يشهد خلق

نفسه . . . وكل علماء الفلك والبيولوجيا لايقولون إلا نظريات وافتراضات حول نشوء الكون، وكيف تسير المجرات، وكيف تسير الشمس، وكيف يدور القمر حول الأرض، وكيف تدور الأرض حول نفسها وحول الشمس، وابتعاد المجرات كلها أمور تكشف عن عالم مكون محسوس، ولكن كيف بدأ؟ لم تصل الحقائق العلمية والاكتشافات الحديثة على الرغم من تقدمها العلمي إلى اليقين، والحقيقة العلمية الثابتة فظهرت نظية لابلاس ثم نظرية الانفجار الكوني ثم نظرية مرور نجم كبير، وكل ذلك من الفرضيات العلمية ولكنها لاتخالف ما جاء في القرآن بأن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما . . . نشوء المجموعة الشمسية . . .

ويقول الشيخ الجسر في كتابه القيم (قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن):

(هل الأهون على العقل السليم أن يصدق أن كل مافي العالم من نظام وإبداع وإحكام هو أثر من آثار اجتماع المادة الصماء، أم الأهون على العقل والأقرب إليه أن يكون ذلك قد تم بخلق إله قادر مريد عليم حكيم)[1]

ثم يقول: (هل عجز العقول عن تصور كنه هذا الإله العظيم الذي ليس كمثله شيء يدعوكم إلى نفي وجوده؟).

---

(١) قصة الإيمان ص١٧٥ .

ثم يستطرد قائلاً: (وهل يرجو الإنسان الذي لايعرف كيف يعرف ولايدرك كيف يدرك؟ ولايعقل كيف يعقل أن يدرك حقيقة الله تعالى؟)[1].

ويقول العالم لايبنز: (وإذا كانت عقولكم لاتتمكن من تصور هذا الإله، فلا يلزم من ذلك عدم وجوده، إذ إن كثيراً من الحقائق لم تتمكنوا من تصورها حق التصور، وتكون في الحقيقة موجودة، ويقوم الدليل العقلي على وجودها).

ثم يتابع بقوله: (ويكفي العقول أن تستدل على وجود الله وصفاته بآثاره. وكل مافي العالم من وجود نظام وإتقان وإحكام دلائل قاطعة على وجوده وعلى علمه وقدرته وحكميته)[2].

ثم يتابع الشيخ الجسر قائلاً: (إن وجود بعض الشر لاينطبق على القصد والحكمة) ويرد عليهم: (بأن تصور العقل البشري وعجزه عن إدراك الكثير من الأمور المادية المشاهدة ليدل على قصور في معرفة الحكمة والقصد ويورد ماقاله الجاحظ: (إن المصلحة في أمر ابتداء الدنيا إلى انقضاء مدتها، امتزاج الخير بالشر، والضار بالنافع، والمكروه بالسار، والضعة بالرفعة، والكثرة بالقلة، ولو كان الشر صرفاً هلك الخلق، أو كان الخير محضاً

---

(١) قصة الإيمان ص١٧٩.

(٢) قصة الإيمان ص١٨٠.

سقطت المحنة ، وتقطعت أسباب الفكرة . ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة ، ومتى ذهب التخيير ذهب التمييز ، ولم يكن للعالم تثبت وتوقف وتعلم ولم يكن علم ، ولا يعرف باب التدبير ، ودفع المضرة ، ولا اختلاف المنفعة ، ولا صبر على مكروه ، ولا شكر على محبوب ، ولا تفاضل في بيان ، ولا تنافس في درجة ، وبطلت فرحة الظفر ، وعز الغلبة ، ولم يكن على ظهره محق يجد عز الحق ، ومبطل يجد ذل الباطل ، وموفق يجد برد التوفيق ، وشاك يجد نقص الحيرة وكرب الوجوم ، ولم تكن للنفوس آمال ، ولم تتشعبها الأطماع . . . فسبحان من جعل منافعها نعمة ومضارها ترجع إلى أعظم المنافع . . . وجعل في الجميع تمام المصلحة وباجتماعها تمام النعمة)[1] .

وإن الإنسان العاقل يصل إلى الحقيقة المطلقة ببداهة عقله أن الله هو الخالق العظيم لهذا الكون ولكن التكبر هو سبب في العناد والإلحاد قال الله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾[2] .

والحق لا يظهر للظالمين ولا للذين يريدون علواً في الأرض

(١) قصة الإيمان ص١٣٠ .

(٢) الأعراف/ ١٤٦ .

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

وقال أيضاً: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[2].

ويقول عباس محمود العقاد: (ونحن إذا رجعنا إلى تاريخ الإيمان في بني الإنسان وجدنا أن اعتماده على الوعي الكوني أعظم جداً من اعتماده على القضايا المنطقية والبراهين العقلية)[3]. وقال: (ولما ظهرت الأديان الموحدة كان الجدل في صفات الله أكثر وأعنف من الجدل في وجوده)[4].

وهكذا يؤكد العقاد على فكرة الوعي الفطري في عمق النفس البشرية للوصول إلى الحقيقة الكاملة بوجود الله عز وجل ويحمل الأدلة.

١ ـ برهان الخلق (أقدم البراهين وأبسطها وأقواها في اعتقادنا على الإقناع، وخلاصته أن الموجودات لابد لها من موجد (وسماه برهان المحرك الذي لايتحرك والحركة بمعنى الانتقال من حيز

---

(١) الصف/ ٧.

(٢) البقرة/ ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) الله/ عباس محمود العقاد ص٢٠٥.

(٤) الله ص٢٠٦.

الإمكان إلى حيز الوجود، أو من حيز القوة إلى حيز الفعل، ونفى المصادفة بأسلوب رائع).

٢ ـ برهان الغاية (إن هذا الكون يدل في تكوينه على قصد وحكمه تسيره وتدبره ضمن نظام لتحقيق غاية، فالشمس والقمر يدوران لإيجاد الحياة المتوازنة في الوجود، وأعضاء الأجسام الحية تتكفل بأداء وظائف مختلفة متناسقة مكملة بعضها لبعض، فالعين والأذن والجلد أعضاء في الجسم لتحقيق مصادر المعرفة عند الإنسان وهذا دليل التدبير الإلهي من الله عز وجل).

٣ ـ برهان لاستعلاء والاستكمال (برهان المثل الأعلى)

(وفحواه في صيغته الجامعة أن العقل الإنساني كلما تصور شيئاً عظيماً تصور ما هو أعظم منه، لأن الوقوف بالعظمة عند مرتبة قاصرة يحتاج إلى سبب ولايعرف العقل البشري سبب قصوره، والعقل البشري متطلع إلى الكمال المطلق الذي لانقص فيه، وهو الله عز وجل وهي فلسفة ديكارت، والعقل يستلزم وجود كائن كامل حق منزه عن العيوب وهو الحق المطلق الذي تعارف الناس عليه وهو وجود الله عز وجل.

وتتبدى ظواهر هذا البرهان عند (كانط) بالوازع الأخلاقي والواجب وعلاقة الضمير، ومن أروع ما جاء به العقاد البراهين القرآنية.

وقال إن القرآن خاطب إناساً مشركين ومنهم من ينكر وجود الله وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[1].

وظهر الشك وهذا إعجاز قرآني لوجود الإلحاد المعاصر، وقد رد القرآن قبل أربعة عشر قرناً على كل الماديين والمتشككين والدهريين.

وأظهر القرآن دور العقل والعقلاء وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[2].

وقد اتخذ القرآن أسلوباً واضحاً استدلالياً من مظاهر النظام وعظمة الكون والإنسان والنبات والحيوان والأزواج والسماء والأرض والشمس والقمر، وجاء بالآيات البينة الواضحة المعجزة على وجود خالق مبدع حكيم: قال الله تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض، أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ومن يخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله﴾ وهذه البراهين القرآنية جاءت بكل البراهين الدالة على القصد والنظام والخلق والإبداع والكمال والاستعلاء.

---

(١) الجاثية/ ٢٤.

(٢) يونس/ ١٠٠.

وحكى الزمخشري في ربيع الأنوار: (عن علي رضي الله عنه أنه قيل له هل رأيت ربك؟ قال: أفأعبد ما لا أرى؟ فقيل كيف تراه قال: لاتدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان).

الإيمان بالملائكة

إن الإيمان بالله عز وجل الخالق الذي توصلنا بالبرهان العقلي والقرآني والوجداني إليه يخبرنا عن طريق كتبه المنزلة أن في الكون مخلوقات غير مرئية وهي الملائكة، قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ . . .﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾[2].

وحديث رسول الله ﷺ عندما سأله جبريل عن الإيمان فقال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)[3].

فالإيمان بوجودهم ثابت بدليل قطعي ومنكرهم كافر بإجماع المسلمين وبنص القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[4].

---

(١) البقرة/ ٢٨٥.

(٢) النحل/ ٢.

(٣) رواه مسلم والبخاري.

(٤) النساء/ ١٣٦.

والإنكار لوجودهم إنكار للقرآن والنبوة التي جاءت عن طريق الملائكة وهو (جبريل عليه السلام) والملائكة لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

والملائكة منهم رسل قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[1].

والملائكة منهم من يحمل العرش بقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[2].

والملائكة منهم خزنة في الجنة ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[3].

والملائكة منهم زبانية جهنم ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[4].

والملائكة لهم دور المراقبة للمكلفين وإحصاء الأعمال في كتاب مبين ومنهم الرقيب والعتيد وهم عن اليمين والشمال قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا

---

(١) الشعراء/ ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٢) الحاقة/ ١٧.

(٣) الزمر/ ٧٣.

(٤) المدثر/ ٣١.

﴿ لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴾[1] .

الحفظة ﴿ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً ﴾[2] .

ومنهم لهم وظيفة قبض الأرواح قال الله تعالى : ﴿ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴾[3] .

وهذه الملائكة لاتدل إلا على مظهر سلطان الله عز وجل وعظيم ملكه وتجسيداً لقدرته المعنوية في صورة حسية تتلاءم مع تصور الإنسان والمألوف من حياته وهم سفراء التبليغ لحمل الرسالة من الله إلى الرسل من البشر.

وقد بين الرسول صلوات الله عليه أن الأتقياء يمكن أن يقابلوا الملائكة في أحوال خاصة ، وذلك في قوله لحنظلة عندما شكا تغيراً في أحواله قائلاً : «والذي نفسي بيده لو تدومون على ماتكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن ياحنظلة ساعةً وساعة ثلاث مرات»[4] .

والعلم بوجود الملائكة مما هو معلوم من الدين بالضرورة عند جميع المسلمين ومن أنكر وجود الملائكة فهو منكر لكلام الله

---

(١) ق/ ١٨ .

(٢) الأنعام/ ٦١ .

(٣) السجدة/ ١١ .

(٤) رواه مسلم .

ورسوله وكافر لا محالة.

فهم مخلوقات غيبية عنا، ذات أجسام نورانية لطيفة، لا نراهم في الحالات العادية، قادرون على التشكل بالأشكال الجسمانية المختلفة المرئية لنا، ذوو قدرات خارقة، لا حصر لهم، مقربون إلى الله طائعون لايعصون الله ولا يأكلون ولا يشربون يؤدون وظائفهم في الأكوان بحسب مجرى الأقدار، على مراد الله العزيز الجبار[1].

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها.

الإيمان باليوم الآخر

الإيمان بالله وبالقرآن يدعونا إلى الإيمان باليوم الآخر قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[1] .

وقال الله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾[2] .

وعلامات الساعة الدجال وقد ورد في حقه أحاديث كثيرة .

ونزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام .

والدليل عليه من القرآن ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[3] .

وقد وردت أحاديث صحيحة في حق نزول سيدنا عيسى عليه السلام مارواه الشيخان قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب ، ويفيض المال حتى لايقبله أحد ، حتى

---

(١) البقرة/ ٤ .

(٢) النازعات/ ٤٢ ـ ٤٤ .

(٣) النساء/ ١٥٩ .

تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها».

والدليل على اليوم الآخر في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(1).

وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾(2).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ..﴾(3).

إن الدليل العقلي القرآني على القيامة بأن الإنسان الذي خلق من العدم سوف يعاد خلقه كما بدأ خلقه الأول وأين العجب؟..

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ...﴾(4).

---

(1) الزخر/ ٦٨.

(2) الأنبياء/ ١٠٤.

(3) الحج/ ٥.

(4) يس/ ٨١ ـ ٨٢.

وفي يوم القيامة يكون الحساب والصراط والجنة والنار.

وإنّ النعيم والعذاب حسي مادي يلقاه الجسد والروح معاً.

وإن نعيم الجنة باق خالد لا نهاية له، وعذاب جهنم باق خالد لانهاية له.. والآيات دالّة على هذه الأمور ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾[1].

والإيمان باليوم الآخر ركن من أركان العقيدة الإسلامية، وفيها العدالة الإلهية لتحقيق العدل المطلق ممن ظلموا في هذه الحياة الدنيا. وفيها نتيجة الابتلاء ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ لأن الدنيا دار بلاء وامتحان واختبار ليصل إلى السعادة إن آمن واتقى وعمل صالحاً ثم اهتدى ولينال عقوبة الكفر والشرك والعصيان والظلم في يوم الدينونة العظمى.

وإن المنطق العاقل ليستدل على وجود هذا اليوم لتحقيق كمال القصد وبرهان الاستعلاء المطلق للكمال في العدل الإلهي الذي لم يحصل عليه الإنسان في الأرض، وليوفي الله أجر المحسنين الصابرين يوم القيامة ﴿في جنة عرضها السماوات والأرض﴾ وفيها (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر).

وتبدأ الحياة الآخرة من القبر، وبين الرسول ﷺ أحواله وأهواله ونعيمه وعذابه، ثم البرزخ. ويسمي يوم الدين والساعة،

---

(١) الكهف/ ١٠٨.

ويوم الآخرة ويوم الحساب ويوم الفتح ويوم التلاقي ويوم الجمع ويوم التغابن، ويوم الخلود، ويوم الخروج ويوم الحسرة ويوم التنادي، ويوم الآزفة، ويوم الطامة، ويوم الصاخة، ويوم الحاقة.

وإن هذا البحث لابد له من ذكر الموت الذي يتم للجسد فقط وتبقى الروح قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ﴾[1] والعلم الحديث يثبت وجود الروح وخلودها، ومعاهد في عدد من الجامعات الأوربية والأميركية قامت بدراسات حول هذا الموضوع.

وابن رشد يقول: (اتفقت الشرائع جميعاً على وجود أخروي بعد الموت وإن اختلفت في صفة ذلك الوجود).

وابن مسكويه يقول: (النفس جوهر باق لايقبل الموت ولا الفناء وستجزى على ماعملت في الدار الأخرى إلا أن سعادتها وشقاءها اللذين سيحصلان لها بعد مفارقة البدن أمور روحية تناسب موتها وجوهرها).

واستدل الرازي على بقاء الروح بالقرآن والسنة قال الله تعالى: ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «أنبياء الله لايموتون ولكن ينقلون من

---

(١) المؤمنون/ ٩٩.

دار إلى دار» .

وقوله : «القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار» .

وقال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] .

وأما النفس المطمئنة فتسمع نداء ربها في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[2] .

وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3] .

وأما الظالمون فيقول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[4] .

---

(١) القصص/ ٨٣ .

(٢) الفجر/ ٢٨ ـ ٣٠

(٣) النحل/ ٣١٢ .

(٤) الأنعام/ ٩٣ .

الإيمان بالله ومصادر المعرفة الموصلة إليه

الإيمان بالله عز وجل حقيقة علمية ودينية ووجدانية، وبعد دراسة كل الأدلة الكونية والحياتية نجد في قرارة أنفسنا حاجة داعية إلى الإيمان بالله عز وجل. لأن كل شيء يدلك عليه، فالعقل الإنساني وتعقيداته، والجسم ووظائفه، والكون ونظامه، والحياة وما فيها من تشعبات وتنوع واختلاف وتباين يدل على نظام بديع وحكمة ودقة في الصنعة. ولا نجد أي دليل يؤيد الملحدين إلا الهروب إلى المصادفة، وقد أثبتنا علمياً دحض مبدأ المصادفة والاحتمالات في تكرار كل مافي الكون بشكل متطابق وكأنه قانون التكوين للإنسان والحيوان والنبات، وتلاؤم الطبيعة بما فيها من الشمس والأرض وتناسق نظامها المعتدل ليدل على قدرة منظمة مستمرة لبقاء النوع والحياة والأرض ضمن دوران مستمر (اختلاف الليل والنهار) بتعاقب الفصول وعودة الحياة إلى الطبيعة في فصلي الربيع والصيف، كل ذلك ليدل على نظام، وكل نظام وقانون في هذا الكون لابد له من قدرة حكيمة منظمة هي القدرة الإلهية العظيمة. وبعد دراسة كل الأدلة المثبتة لوجود الله عز وجل، ودراسة مجموعة الآيات القرآنية الداعية إلى عقيدة التوحيد المتكاملة في القرآن والكون نجد أن التناسق القرآني البديع في تسليط الأضواء على الأمور المشاهدة الحسية كالشمس والقمر والنجوم

والجبال والبحار والنباتات والحيوانات والإنسان بما فيه من وظائف داخلية معقدة في أجهزته العصبية والدموية والجلدية والتناسلية، ثم فيما نجد من تناسق تشريعي وأخلاقي وأسروي ليدلنا على أن الله القادر هو الذي أنزل هذا الوحي المقدس لكتاب الكون الخالد لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

وإن استمرار التجربة الشخصية والتناغم بين الإنسان والإيمان الذي يؤدي إلى سكينة النفس، والطهر الداخلي، والتعالي يؤيد منظومة الإيمان وأهميته في مسيرة الحياة، ومن ثم يدلنا الكتاب العظيم في الوحي الخاتم وهو القرآن العظيم الناسخ لكل الكتب السابقة والمهيمن عليها أنه يشكل منظومة عقدية رائدة في كل مناحي الحياة، ويعطي القدرة الخلاقة للعقل البشري والاستفادة من الإشارات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية لتنامي السعادة ضمن هذه المنظومة القرآنية.

وإن ما نشاهده من سيرة الأنبياء من كمالات وأخلاقيات وحكمة ليدلنا على استنتاج علمي بأن العناية الإلهية قد أرسلت محمداً ﷺ خاتماً للرسل، وقد حوى كل كمالات البشر في أخلاقه وسيرته ودعوته وبيانه للوحي المقدس، والإيمان بالله حركة داخلية وجدانية تتلاءم مع الفطرة البشرية وتساعدة على قطع مراحل الحياة بسكينة وهدوء واستقرار.

ونخلص إلى القول بأن مصادر المعرفة لهذا الإيمان وطرق الوصول إليه من خلال :

١ ـ الفطرة البشرية السليمة .

٢ ـ العقل الراشد الحكيم الذي يريد الوصول إلى الحقيقة المطلقة .

٣ ـ الاكتشافات العلمية الحديثة وتوافقها مع القرآن العظيم .

نشوء الكون ـ قانون الوراثة ـ الجنين ـ خلق الإنسان ـ السقف المحفوظ (الغلاف الجوي) ـ الزوجان (الذكر والأنثى) ـ (الذرة ـ الموجب والسالب) الجبال الرواسي ـ اختلاف الليل والنهار ـ دوران الشمس والأرض والقمر .

٤ ـ القرآن الكريم بما فيه من إشارات علمية ونفسية وأخلاقية وتشريعية .

٥ ـ سيرة الأنبياء (إبراهيم عليه السلام ـ موسى عليه السلام ـ عيسى عليه السلام ـ محمد ﷺ) .

٦ ـ الفلاسفة المثاليين المؤيدين بالبحوث الفلسفية الذين توصلوا إلى الحقائق العلمية .

٧ ـ الردود العلمية على نظرية المصادفة والاحتمالات العبثية .

٨ ـ تاريخ البشرية بتطورها عبر الأديان السماوية .

٩ ـ مصادر المعرفة من كتب وثقافات ووسائل إعلامية علمية .

الإيمان بالأنبياء عليهم السلام
وأدلة نبوة محمد ﷺ

إن الإيمان بالله عز وجل يستتبع الإيمان بكتبه ورسله، وإن الرسل الذين وردت أسماؤهم في القرآن الكريم ينقسمون إلى قسمين؛ أنبياء ورسل، والأنبياء يبلغون دعوة ربهم ومعهم كتب سماوية، وقد تتابعت الرسل والأنبياء في مراحل نضوج العقل البشري حتى توصلت إلى نهاية مرحلة الرشد بالرسالة الخاتمة للرسل والكتب السماوية.

وقد أجمع علماء تاريخ الأديان على أسماء وردت في كل الكتب السماوية أمثال نوح عليه السلام ـ وإبراهيم عليه السلام ـ وموسى عليه السلام ـ وعيسى عليه السلام ـ ويعقوب عليه السلام ـ وداود وسليمان عليهما السلام.

وجاء القرآن بخاتمة المطاف بإرسال آخر الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ، وهؤلاء الأنبياء والرسل هم الذين أرشدوا العقل البشري وهدوه إلى الحق بعد أن حاول الفلاسفة والعقلاء عن طريق البحث والدراسة الوصول إلى وجود الله عز وجل؛ فأرسل الله الرسل لبيان الصفات الإلهية، والدعوة إلى التوحيد الخالص، لأن العقل البشري مهما حاول الوصول إلى هذه الجزيئات فلن

يستطيع ضبط هذه الصفات الإلهية .

وهؤلاء الأنبياء هم بشر اصطفاهم الله لحمل الرسالة وتبليغ الدعوة، وليكونوا أسوة للبشرية في سلوكهم وأخلاقهم وعلومهم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1] .

وقال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[2] .

قال الله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[3] .

والصفات الواجبة للأنبياء هي: الذكورة - الأمانة - العصمة من الوقوع في الذنوب - الفطانة - الصدق - كمال العقل والضبط والعدالة - وهم بشر كسائر البشر ولهم معجزات وخوارق، وكل نبي كان له معجزة إلا أن محمداً ﷺ كانت معجزته الخالدة القرآن الكريم بما فيها من الأخبار بالمغيبات الماضية والحاضرة والمستقبلة، والإعجاز اللغوي والعلمي والتشريعي، وهي أي النبوة اصطفاء واجتباء من الله لا تأتي عن طريق الكسب .

قال رسول الله ﷺ في بيان مكانته بين الأنبياء: «مثلي ومثل

---

(١) الإسراء/ ١٥ .

(٢) فاطر/ ٢٤ .

(٣) النساء/ ١٦٤ .

الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه فأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» متفق عليه.

وقال الله تعالى في حقه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[1].

وإن من أركان العقيدة الإسلامية الإيمان بجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام.

قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[2].

والنبوة معناها (اصطفاء الله عبداً من عباده بالوحي إليه).

والرسول (هو النبي المكلف من قبل الله بتبليغ شريعته لخلقه).

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[3].

وأما في حق محمد ﷺ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا

---

(١) الأحزاب/ ٤٠.

(٢) البقرة/ ٢٨٥.

(٣) الأنعام/ ١٢٤.

مُّنِيرًا﴾[1].

وحاجة الناس إلى الرسل لأمور كثيرة أهمها:

١ ـ السعي لتكميل النفس البشرية عن طريق معرفة الله والإيمان به وصفاته والإيمان بالربوبية والألوهية وكمال الصفات.

٢ ـ السعي لبلوغ السعادة في الدنيا بتطبيق منهج الله المرسل مع الأنبياء والموضح في سلوكهم، ولذلك جعلهم الله أسوة وقدوة للمؤمنين. وتحقيق السعادة الكاملة في الآخرة بمعرفة الوسائل التي تحقق رضاء الله وهي العبادة السليمة، ومعرفة حدود الله وطاعته بطاعة رسوله الموضح والمبين لما جاء به الوحي.

٣ ـ الهداية الكاملة عن طريق معرفة الحلال والحرام، وهم يشكلون أكبر مصدر للمعرفة الإلهية لأن الناس لايستطيعون بأنفسهم معرفة الخير والشر والحلال والحرام وكيفية العبادات الموصلة إلى رضاء الله عز وجل، وتربية الناس عملياً على منهج الشريعة الربانية ﴿يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم﴾.

فهم القدوة والأسوة قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

---

(١) الأحزاب/ ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) الأحزاب/ ٢١.

٤ ـ طاعة الرسول واجبة بقوله تعالى: ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾.

وقال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾.

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[1].

الأدلة العلمية لإثبات نبوة محمد ﷺ:

١ ـ الإيمان بالله عن طريق الدليل العلمي اليقيني يستتبع الإيمان بالقرآن العظيم وما فيه من أحكام ومنها الإيمان بالأنبياء والإيمان بمحمد رسول الله ﷺ.

٢ ـ الاستدلال بشخصية الرسول وأخلاقه وسلوكه (وكان يسمى الأمين).

٣ ـ الاستدلال بأخبار الرسل السابقين وبما جاء في الكتب السابقة (جاء ذكر الرسول محمد ﷺ في إنجيل برنابا أكثر من ستين مرة.. وذكر عزير الرسول ﷺ وقد صدر كتاباً يبشر بالرسول على لسان عزير).

٤ ـ الاستدلال بعظمة القرآن وإعجازه العلمي واللغوي وأنه

---

(١) النساء/ ٥٩.

ليس من عند محمد ﷺ وهو أكبر معجزة تثبت نبوة محمد ﷺ .

٥ ـ إن أعظم الأدلة على نبوة محمد ﷺ هي الاكتشافات العلمية المتوافقة مع القرآن العظيم التي لايمكن لبشر أن يتكلم بها في القرن السادس الميلادي حيث لم تكن هناك كل هذه المكتشفات العلمية ، وبما أن القرآن العظيم جاء بكل مايتوافق مع العقل والعلم البشري ليدل دلالة على أن محمداً عليه الصلاة والسلام ليس إلا رسولاً أوحي إليه هذا الكلام المقدس المعجز علمياً وعقلياً ولغوياً .

ومن أراد الاستفادة فليرجع إلى كتابنا (هل محمد عبقري مصلح أم نبي مرسل) .

وإلى مجموعة من الكتب التي ذكرت نبوة محمد عليه الصلاة والسلام .

ومحمد ﷺ هو الرسول الخاتم للرسل وكل الافتراءات عليه والاتهامات التي قالها المستشرقون عنه جاءت ردود عليها ولقد شهد بعظمته كبار علماء الغرب أمثال نيتشه وفولتير وبرناردشو وكارليل وموريس بوكاي ، وقد أسلم كبار الفلاسفة والعلماء وكل يوم في زيادة كلما اطلعوا على حياته وأخلاقه والردود على الافتراءات العديدة التي حاكها أمثال جولدزيهر وجب وبرناردلويس وهيوم وغيرهم من المستشرقين الحاقدين .

وقال مرادهوفمان سفير ألمانيا في المغرب بعد أن أعلن

إسلامه في كتابه الإسلام كبديل (إن إصرار محمد عليه الصلاة والسلام على كونه بشراً خاشعاً متواضعاً لايخجل أن يؤكد أنه أمي لم يتعلم الكتابة والقراءة، ولئن كان هذا واحداً من أسباب عظمة الرسول)[1].

(١) ص٤٥/ الإسلام كبديل.

الإيمان بالقرآن العظيم

إن الإيمان بالله عز وجل يستتبع الإيمان بالكتب السماوية التوراة والإنجيل والقرآن، ومن عناية الله بالبشرية أن أرسل رسلاً ومعهم نزل الوحي بكتب سماوية تهديهم إلى الحق، وآخر هذه الكتب والمهيمن عليها والناسخ لأحكامها هو القرآن العظيم وهو كتاب الله المنزل على محمد ﷺ عن طريق الوحي بوساطة جبريل عليه السلام، المبدوء بالفاتحة والمختوم بسورة الناس وهو ١١٤ سورة.

إنه الكلام المقدس المتعبد بتلاوته. والإيمان بالله ورسوله وكتبه من أركان الإيمان. وهو المعجزة الإلهية الخالدة

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾[3].

وقال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا

---

(١) البقرة/ ٢.

(٢) الإسراء/ ٩.

(٣) طه/

﴿مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

وقال الله تعالى يتحدى الإنس والجن والعرب والعلماء في كل زمان ومكان أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وأجاب عن نفسه بأنهم لن يستطيعوا ولو تجمعوا كلهم؛ لأن الذي خلق الكون والإنسان يعلم عجزهم عن الإتيان بمثله قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2].

ويقول الدكتور محمد عبد الله دراز: (الحمد لله الذي فضلنا بالقرآن على الأمم أجمعين، وأتانا به مالم يؤت أحداً من العالمين أنزله هداية عالمية دائمة، وجعله للشرائع السماوية خاتمة، ثم جعل من نفسه حجة على الدهر قائمة)[3].

وإن عظمة القرآن تظهر في استمرارية حفظه وتوثيقه حتى اليوم قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[4]، ولم يصبه ماأصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع

---

(١) الحشر/ ٢١.

(٢) الإسراء/ ٨٨.

(٣) النبأ العظيم د. محمد عبد الله دراز ص٩٦.

(٤) سورة الحجر آية/ ٩.

السند ـ وإنه وحي من الله نزل به رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين، وهو جبريل عليه السلام، تلقاه من لدن حكيم خبير، ثم نزله بلسان عربي مبين على قلب محمد ﷺ فتلقنه محمد منه كما يتلقن التلميذ عن أستاذه نصاً من النصوص، ولم يكن له فيه من عمل بعد ذلك إلا الوعي والحفظ والتبليغ والبيان والتفسير والتطبيق والتنفيذ قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِيَ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾[1].

(والقرآن الكريم صريح في أنه لاصنعة فيه لمحمد ﷺ ولا لأحد من الخلق، وإنما هو منزل من عند الله بلفظه ومعناه)[2].

ويأتي القرآن بأدلة داحضة لكل افتراء على أن من كتب هذا القرآن هو محمد نفسه يقول القرآن ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3].

ولو أن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ لما جاء فيه من النقد المر والعتاب القاسي والتعنيف الشديد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

---

(١) يونس/ ١٥.

(٢) النبأ العظيم ص٢١.

(٣) يونس الآية/ ١٦.

﴿ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾[3] .

يقول الدكتور دراز : (أرأيت لو كانت هذه التقريعات المؤلمة صادرة عن وجدانية معبرة عن ندمه ووخز ضميره حين بدا له خلاف مافرط من رأيه ، أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل والتشنيع ؟ ألم يكن له في السكوت عنها ستر على نفسه ، واستبقاء لحرمة آرائه . . ؟ ولو كان القرآن من وجدانه لاستطاع كتمان الكثير منها . . ولكنه الوحي ولايستطيع أن يمس شيئاً من الوحي المنزل) .

ولقد جاءت الآيات في القرآن تتحدى وقائع المستقبل وهي عصمة محمد من أعدائه ، وأنى لرجل أن يصدر هذا القول وهو في حالة محاصرة وضيق وعنف وممانعة من أعدائه قال الله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[4] .

---

(١) التحريم/ ١ ـ ٢ .

(٢) الأحزاب/ ٣ .

(٣) عبس/ ١ .

(٤) المائدة/ ٦٧ .

أي ضمان يملكه بشر لنفسه، ولو كان ملكاً محجلاً تسير الحفظة من بين يديه ومن خلفه، وكم طالت يد الغيلة العظماء والملوك وهم في مواكبهم تحيط بهم الجنود والأعيان، ولذلك قال (أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله) لمن كان يحرسه بالليل.

وجاء في بعض الكتب الملفقة أن محمداً ﷺ تلقى القرآن من الراهب بحيرة ومن ورقه بن نوفل، وقيل محمد أحد الرهبان الذين انفصلوا عن رجال الكنيسة وجاء بدين جديد، وهذه الافتراءات حاول تأكيدها المستشرقون، وجاءت ردود كثيرة عليها من عدة كتب منها النبأ العظيم، وهل محمد عبقري مصلح أم نبي مرسل، وكتاب للدكتور أسعد حومد (وهو دعوة الإيمان).

وجاء القرآن يرد عليهم ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[1] (وقالوا إنما يعلمه بشر) ورد عليهم القرآن بالآية السابقة. وقيل إنّ حداداً رومياً هو الذي كان يعلمه القرآن، وكيف يستطيع هذا الرجل أن يأتي بهذا القرآن العظيم ولايدعيه لنفسه، وإنه لقول هزل بأن العلم يستقى من الجهل، وأنى لقدرة بشرية أن تأتي بكل هذه الأخبار والغيبيات والتصحيح لكل عقائد السابقين المحرفة من التوراة والإنجيل.

إن القرآن العظيم أسلوب عجيب، ومنهج في الحديث فذ

---

(١) النحل/ ١٠٣.

مبتكر، لاتستطيع قوى الأرض الإتيان بمثله، فهو تنزيل إلهي محض لاكسب منه للذي جرى على لسانه، وفيه القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى، وفيه خطاب العامة وخطاب الخاصة وفيه إقناع العقل وامتاع العاطفة، وفيه الإجمال والبيان.

قال الشاعر:

قل حوى القرآن نوراً وهدى   فعصى القرآن من لايعقل

قل لقوم نبذوا أحكامه   هل لكم مما نبذتم بدل

فاسألوا التاريخ عن قرآنكم   يوم ضاءت بسناه السبل

آية الكرسي

مدلولاتها . معانيها . مكانتها

آية الكرسي هي الآية (٢٥٥) من سورة البقرة كلماتها خمسون كلمة، فيها سبعة عشر اسماً من أسماء الله تعالى الحسنى، وهي سيدة آي القرآن، وأعظم آية فيه (وفيما أخرجه البخاري في تاريخه وغيره أن النبي ﷺ جاء أهل الصفة فسأله إنسان أي آية في القرآن أعظم فقال النبي ﷺ (الله لا إله إلا هو الحي القيوم.. حتى انقضت الآية).

وثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعاً (إن قارئها إذا أوى إلى فراشه لن يزال عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح).

وعن علي كرم الله وجهه قال: (سمعت نبيكم ﷺ يقول وهو على أعواد المنبر (من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت، ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه، أمنه الله علة نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله).

تفسيرها:

﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾.

﴿الله﴾ اسم تفرد به الحق جل جلاله، وهو الخالق المتفرد بالألوهية فهو الواحد الصمد، المبدع وله العبودية كلها ﴿لا إله إلا هو﴾ نفي لكل الآلهة التي تدعيها بعض الأديان وإثبات الألوهية لله وحده، وهو المعبود وحده. وهو واجب الوجود عقلاً وبرهاناً وذلك من خلال دراسة نظام الكون، ودقة تنظيمه، وجمال ترتيبه يقول تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[1].

﴿الحي﴾ ذو الحياة الدائم البقاء، وهو الباقي الذي لاسبيل للفناء عليه، والذي حياته عين ذاته وكل ماهو حي لم يحي، إلا بحياته، والألوسي في تفسيره يقول (بأن الحي صفة موجودة حقيقية قائمة بذاته لايكتنه كنهها ولانعلم حقيقتها كسائر صفاته جل شأنه زائدة على مجموع العلم والقدرة وليست نفس الذات) والزمخشري (فسر الحي بالباقي الذي لاسبيل عليه للموت والفناء، وفيه رد على نظريات غربية ظهرت وبحوث وكتب نشرت حول موت الإله).

﴿القيوم﴾ قال ابن جبير (القيوم الدائم الوجود)، وفسره مجاهد والربيع والضحاك ﴿القيوم﴾ معناه أنه قائم على كل شيء مما يجب له، وقال قتادة: (القائم بتدبير خلقه)، وقال الحسن: (القائم على كل نفس بما كبست قال تعالى: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾.

---

(١) الذاريات/ ٢١.

وقال المراغي: (القائم بتدبير أمر عباده يكلؤهم ويحفظهم ويرزقهم، وهذا ماقاله الزمخشري (الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه)، وهي صيغة مبالغة للقيام، وذهب جمع كما يروي الآلوسي أن القيوم هو اسم الله تعالى الأعظم. وفسره قوم بأنه القائم بذاته والمقوم لغيره.

﴿لاتأخذه سنة ولانوم﴾ وجاء في البحر المحيط أنه تعالى لايغفل عن دقيق ولا جليل.

والأخذ: الغلبة والاستيلاء (سنة) نعاس وهو فتور قبل النوم. والنوم وهو توقف الحواس الظاهرة عن الإحساس والشعور، والمعنى كما جاء في تفسير المراغي (أن لايعتريه نوم ولا مقدماته وهذا إكمال لمعنى القيوم والقيومية على أتم وجه بتدبير شؤون عباده في جميع الأوقات آناء الليل وأطراف النهار).

﴿له مافي السموات ومافي الأرض﴾ قال القشيري له مافي السموات ومافي الأرض ملكاً وإبداعاً وخلقاً واختراعاً، ومعناه أن جميع السموات ومافي الأرض ملكه وعبيده، خاضعون بمشيئته وتحت قهره وسلطانه، وكلها تأكيد على قيوميته في الأرض وفي السموات.

﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ ويقول الآلوسي: هذا استفهام استنكاري، وهذا تأكيد على التفرد بالملكية لما في السموات ومافي الأرض، واستتباع عظمة الخالق المالك أن لايتجاسر أحد

على الشفاعة إلا بإذنه قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[2] وفي حديث الشفاعة (آتي تحت العرش فأخر ساجداً فيدعني ماشاء الله أن يدعني قال يقال: ارفع رأسك، وقل تسمع، واشفع تشفع). ويقول القرطبي: (تقرر أن الله يأذن لمن يشاء في الشفاعة وهم الأنبياء والعلماء والمجاهدون والملائكة وغيرهم ممن أكرمهم وشرفهم الله ثم لايشفعون إلا لمن ارتضى كما قال تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ ويعلق القرطبي على توضيح مسلم في صحيحه بأن يكون للمؤمنين شفاعتان، شفاعة فيمن لم يصل إلى النار وشفاعة فيمن وصل إليها ودخلها أجارنا الله منها). ويؤكد المراغي على أهمية العمل والاستقامة وعدم الركون إلى الشفاعة كما هو حال المسلمين اليوم.

﴿يعلم مابين أيديهم وماخلفهم﴾ فالله جل جلاله محيط علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها وهذه دعوة للاستمرار في المراقبة والخشوع والخضوع لمن بيده ملكوت السموات والأرض. قال مجاهد: (مابين أيديهم (الدنيا) وماخلفهم

---

(١) النجم/ ٥٦.

(٢) الأنبياء/ ٢٨.

(الآخرة). وقال الآلوسي: (يعلم كل مايدركونه ومالايدركونه أو مايحسسونه ويفعلونه والكل محتمل).

﴿ولايحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ العلم هنا بمعنى المعلوم، وقال القرطبي: (لامعلوم لأحد إلا ماشاء الله أن يعلمه) فالله سبحانه وتعالى يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولايحيط بعلم الله عز وجل إلا من علمه الله أو أطلعه عليه بوحي أو إلهام، وكل ادعاء بالعلم والمعرفة لابد له من أصول قرآنية أو نبوية حتى يعترف بها دينياً، وهذا نفي للعلوم الدينية التي تصاحبها دعاوى باطلة أدت إلى انحراف الإنسانية عن المنهج الرباني الموثق بوحي الله الخاتم، وفيه لفتة كريمة بتوقف الشفاعة إلا بإذنه وعلمه المبين بالوحي والتوقف عند أحكامه أمراً ونهياً، (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد).

﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ قال المراغي (كرسيه أي علمه) تعالى محيط بها يعملون، ويرى جميع المفسرين ومنهم القفال والزمخشري أن الكلام تصوير لعظمته وتمثيل لكبريائه ولاكرسي ولاقيام ولاقعود، وقد خاطب سبحانه عباده في تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم، ويستتبع المراغي قوله (فالكرسي شيء يضبط وأنا أقول يحيط بسعته السموات والأرض نسلم به، بدون بحث في تعيينه، ولاكشف عن حقيقته، ولاكلام فيه بالرأي دون نص من المعصوم).

والدليل على تفسير الكرسي بعلمه قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[1] وجاء في البحر المحيط (والكرسي جسم عظيم يسع بعظمته لو وضعت فيه السموات والأرض) وفي الحديث (ماالسموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس). وفي الحديث أيضاً (ماالكرسي في العرش إلا كحلقة من حيث ألقيت في فلاة في الأرض).

وقيل عن الكرسي إنه (السطان والقدرة) وذكرهم القرطبي بقوله أرباب الإلحاد لإنكارهم وجود العرش والكرسي وذلك لوروده نصاً، فالإنكار لادليل له. والزمخشري أورد أربعة وجوه في تفسير قوله تعالى ﴿وسع كرسيه﴾. أحدهما ـ أن كرسيه لايضيق عن السموات والأرض لبسطته وسعته، وماهو إلا تصوير لعظمته، وتخييل فقط ولا كرسي ثمة، ولاقعود ولاقاعد لقوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2].

الثاني : وسع علمه وسمي العلم كرسياً تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم. وهذا قول ابن عباس.

الثالث : ماروي أنه خلق كرسياً هو بين يدي العرش، دونه

---

(١) غافر/ ٧.

(٢) الزمر/ ٦٧.

السموات والأرض، وهو إلى العرش كأصغر شيء، وعلى كل حال نرى أن الإيمان بوجود العرش والكرسي كما ورد في القرآن بالنص الصريح ولايجوز إنكاروجودهما كما وردت على سبيل الحقيقة أم على سبيل المجاز.

والآلوسي يذكر بعض الأقوال عن السلف الصالح بأنهم جعلوا ذلك من المتشابه الذي لايحيطون به علماً وفوضوا علمه إلى الله تعالى مع القول بغاية التنزيه والتقديس له تعالى وشأنه. ثم أردف قائلا: (أصل الكرسي مايجلس عليه، والكلام مسوق على سبيل التمثيل لعظمته تعالى شأنه وسعة سلطانه، وإحاطة علمه، ففي الكلام ليس ثمة كرسي ولا قاعد ولاقعود وإنما هي استعارة تمثيلية.

﴿ولايؤوده حفظهما﴾ لايثقله حفظ هذه العوالم بما فيها، ولايشق عليه ذلك.

﴿وهو العلي العظيم﴾ فهو المتعالي عن الأنداد والأشباه وهو المنزه بعظمته عن الاحتياج إلى من يعلمه بحقيقة أحوالهم، وهو على علو القدر والمنزلة لاعلو المكان لأن الله منزه عن التحيز وقيل علي في جلاله، عظيم في سلطانه.

مدلولاتها:

والخلاصة أن هذه الآية العظيمة تملأ القلوب مهابة من الله وعظمته وجلاله وكماله، وهي التي تدل على أنه المتفرد بالألوهية

والسلطان والقدرة، والمحيط بعلمه بكل الكائنات، والمدبر لهم مابين أيديهم وماخلفهم والعالم بكل أعمالهم، والمطلع على خفايا نفوسهم، وهم بحاجة مستمرة إليه آناء الليل وأطراف النهار. ويقول الآلوسي عنها: (هذه الآية الكريمة أشرقت على صفحاتها أنوار الصفات العالية حيث جمعت أصول الصفات من الألوهية والوحدانية والحياة والعلم والملك والقدرة والإرادة.). ونطقت بأنه سبحانه موجود منفرد في ألوهيته واجب الوجود لذاته موجد لغيره، منزه عن التحيز والحلول، مبرأ عن التغير والفتور، لامناسبة بينه وبين الأشباح، ولايحل بساحة جلاله مايعرض للنفوس والأرواح.

مالك الملك والملكوت، ومبدع الأصول والفروع، ذو البطش الشديد، العالم وحده بجلي الأشياء وخفيها وكليها وجزئيها واسع الملك والقدرة.

وإن كون هذه الآية أعظم آية في القرآن وقد حثّ النبي ﷺ على تلاوتها بعد كل صلاة مكتوبة وعند الأُويّ إلى الفراش ليدلنا دلالة على آثارها الروحية والتربوية في حياة المسلم اليومية، فلنعش معها تلاوة وفهماً وتدبراً لتسمو أرواحنا في سبحات روحية مع الله محبة وذكراً وتذكراً فلعلها أن تكون القوة لضعفنا، والسعادة لوجودنا، والأنيس في غربتنا والمدد النوراني المستمر لوجودنا، فهي نور لقلوبنا ومنهج فكري في عقيدتنا وبلسم يشفي جفوتنا، وأمل

كبير يضيء لحياتنا لنستمد العون والقوة والقدرة من ملك الملوك وذي الجلال والإكرام الكبير المتعال العلي العظيم .

تفسير آيات من سورة الفاتحة

قال الله تعالى : ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ .

الحمد لله الذي أنزل لنا القرآن الكريم ميسراً تدبره ، فيه الشمولية المستغرقة لكل العصور ، اطلعت على كتب التفسير فوجدت إجماع الجمهور على أمر جلل في تفسيرهم لهذه الآية ، وقد خصصوا لفظ (المغضوب عليهم) باليهود (والضالين) بالنصارى ، وفسروا معنى الآية على هذا واستدلوا بآيات خاصة ، علماً بأن المغضوب عليهم هم الذين عرفوا الحق ثم أعرضوا عنه من أي دين كانوا وفي أي زمن وجدوا ، والأوْلى حمل المغضوب عليهم على كلّ من أخطأ في الأعمال الظاهرة وهم الفساق ، ويحمل الضالون على كل من أخطأ في الاعتقاد ، لأن اللفظ عام والتخصيص خلاف الأصل إلا إذا جاء دليل قطعي الثبوت قطعي الدلالة ، وليس في هذا الشأن أي دليل قطعي وهذا ماسنوضحه بعد قليل .

وجاء في كتاب التسهيل (المغضوب عليهم عام في كل مغضوب عليه وكل ضال) وذلك لأن الضلال هو العدول عن الطريق السوي عمداً أو خطأ .

وقد ذكر القرطبي والآلوسي وابن كثير بأن الجمهور قد أجمعوا على أن (المغضوب عليهم) اليهود (والضالين) النصارى وجاؤوا بدليل هو حديث عدي بن حاتم وقصة إسلامه، وقد أخرجه أبو داود في مسنده والترمذي في جامعه، وشهد لهذا التفسير قول الله تعالى: ﴿وباؤوا بغضب من الله﴾ وفي قول الله تعالى: ﴿وقد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾.

وهنا لابد لنا من مناقشة الموضوع باتجاهين:

الاتجاه الأول:

إن آيات كثيرة في القرآن تذكر المغضوب عليهم، قال الله تعالى: ﴿ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله﴾ وذكر القرآن عقوبة القاتل ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1] وقال أيضاً: ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾[2] فهذه الآيات حذرت من أعمال كثيرة يتحقق فيها غضب الله، وهي عامة لكل فعل يؤدي إلى معصية كبرى يصل صاحبها إلى غضب الله.

أن آيات كثيرة تذكر الضالين، قال الله تعالى في حق الجاهل: ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ

---

(١) النساء/ ٩٣.

(٢) الأنفال/ ١٦.

﴿ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[3].

وقال الله تعالى: ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾[4].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[5].

وقال في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[6].

وقال في حق القاسية قلوبهم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[7].

---

(١) النساء/ ١١٦.

(٢) الأحزاب/ ٣٦.

(٣) محمد/ ١.

(٤) آل عمران/ ٩٠.

(٥) البقرة/ ١٩٨.

(٦) الشعراء/ ٨٦.

(٧) الزمر/ ٢٢.

وقال في الكفر: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ﴾[2].

والمعنى الشمولي الجامع لمعنى الضلال في آيات الذكر الحكيم هو الإعراض عن الحق بعد معرفته، وقد وضح هذا المعنى الرازي بقوله: (المغضوب عليهم هم الكفار والضالون، هم المنافقون) وعلله بما في أول البقرة من ذكر المؤمنين ثم الكفار ثم المنافقين، وقال الآلوسي عن كلمة (غير) هي من الأسماء الموغلة في الإبهام فلا تتعرف بالإضافة فلا توصف بها المعرفة ولاتبدل منها على المشهور، واستدرك قائلاً بأن علماء العربية قالوا إنها قد تتعرف بالإضافة وذلك إذا وقعت بين متضادين معرفتين نحو عليك بالحركة غير السكون.

وقد تأتي كلمة الضلال بمعنى الهلاك ومنه قوله تعالى: ﴿أئذا ضللنا في الأرض﴾ أي هلكنا وقوله (وأضل أعمالهم) أي أهلكها.

والغضب (أصله الشدة، ومنه الغضبة الصلبة الشديدة المركبة في الحبل) وفي الكشاف (معنى غضب الله تعالى إرادة الانتقام من العصاة وإنزال العقوبة بهم، وأن يفعل بهم مايفعله

---

(١) النساء/ ١٣٦.

(٢) الروم/ ٥٣.

الملك إذا غضب على من تحت يده) .

وقال الآلوسي : (هي صفة لله تعالى لائقة بجلال ذاته لاأعلم حقيقتها وكيف هي والعجز عن درك الإدراك إدراك) .

وقال صاحب روح البيان : (المغضوب عليهم هم الذين أخطأهم ذلك النور فضلوا في تيه هوى النفس وتاهوا في ظلمات الطبع والتقليد فغضب الله عليهم) .

وجاء في الظلال في تفسير المغضوب عليهم (لاطريق الذين غضب عليهم لمعرفتهم الحق ثم حيدتهم عنه أو الذين ضلوا عن الحق فلم يهتدوا أصلاً إليه) .

وابن كثير يصل إلى المعنى العام بقوله : (المغضوب عليهم وهم الذين فسدت إرادتهم فعلموا الحق وعدلوا عنه ، ولاصراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لايهتدون إلى الحق) .

وقال المفسرون إن إقحام المعنى الخاص جاء بدليل حديث عدي بن حاتم وهو حسن غريب .

وقال أبو عيسى عنه (أي الحديث) : (هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من حديث سماك بن حرب عن عدي بن حاتم) .

وهل يحق لنا تخصيص عام القرآن بحديث غريب مضطرب ، علماً بأن العام لايخصص إلا بحديث متواتر عند أكثر العلماء .

ولقد انفرد سماك بن حرب في رواية هذا الحديث فصار غريباً، وهذا الحديث اعتمده المفسرون كلهم على الرغم مما قيل عن راوي الحديث، فقد قال النسائي: (إذا انفرد سماك بأصل لم يكن حجة لأنه كان يلقن فيتلقن)[1]، وقال عنه النسائي بشكل عام ليس به بأس وفي حديثه شيء[2].

وهذا الحديث رواه عن عكرمة وقال ابن المديني: (أحاديثه عن عكرمة مضطربة)[3] وكان شعبة يضعفه وهذا الحديث الذي أخرجه أبو داود عن شعبة في مسنده، وقال زكريا بن عدي عن ابن المبارك، قال سماك ضعيف في الحديث وجاء في سير أعلام النبلاء (وسمعت يحيى بن معين سئل عن السماك ماالذي عابه به قال أسند أحاديث لم يسندها غيره).

وقال محمد بن عبد الله بن عمار (ربما خلط ويختلفون في حديثه)[4].

وعن أحمد قال عنه مضطرب الحديث[5]، وقال عبد

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٤٨

(٢) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٤٨

(٣) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٤٧

(٤) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٤٧

(٥) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٤٨.

الرحمن بن خراش في حديثه لين[1] وروى ابن المبارك عن سفيان أنه ضعيف[2].

وقال صالح جزره: (يضعف) أي سماك بن حرب[3].

وروى أحمد بن أبي مريم عن يحيى، سماك ثقة وكان سفيان (يضعفه)[4] وكان الثوري (يضعفه قليلاً)[5].

وقال يعقوب بن شيبه: هو في غير عكرمه صالح وليس من المتثبتين.

ويعد هذا الكلام الكثير عن الراوي الوحيد نجد أن كلمة المغضوب عليهم والضالين هما كلمتان قولان على العام وتعريف العام، كما جاء في كتاب أصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبه الزحيلي (هو شمول أمر لمتعدد سواء أكان الأمر لفظاً أو غيره).

في والاصطلاح (العام هو اللفظ الذي يستغرق جميع مايصلح له من الأفراد)[6].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٤٨.

(٢) ميزان الاعتدال ٢/ ٢٣٢.

(٣) ميزان الاعتدال ج٢ ص٢٣٣.

(٤) ميزان الاعتدال ج٢ ص٢٣٣.

(٥) ميزان الاعتدال ج٢ ص٢٣٣.

(٦) أصول الفقه الإسلامي ج٢ ص٢٤٤.

وقال الرازي في تعريف العام: (هو اللفظ المستغرق لجميع مايصلح له بحسب وضع واحد) ولايحق لنا أصولاً أن نخصص العام إلا بدليل، وهنا دليل تخصيص المغضوب عليهم والضالين بحديث غريب آحادي؛ علماً أن العلماء قد قالوا في الراوي أشياء كثيرة وأوصلوه إلى مرحلة الاضطراب في أحاديثه، وهذا ينفي إجماع الجمهور لهذا التخصيص لكونه دليلاً آحادياً ومضطرباً، فكيف نعتمد على هذا التفسير، وقد قال أكثر المفسرين بهذا التخصيص وهو غير صحيح.

وقد وضَّح الدكتور الزحيلي في كتابه أن إجماع الصحابة وأهل اللغة على إجراء ألفاظ القرآن والسنة على عمومها حتى يقوم دليل على الخصوص، وقد اعتمد المفسرون هنا على دليل ضعيف وبهذا يبطل استدلالهم على تخصيص اللفظ وتبقى الألفاظ (المغضوب عليهم والضالين) على عموميتها، وخاصة أن لفظ الغضب والضلال ذكر في القرآن بمواضع كثيرة مقترنة بأعمال تخالف أمر الله فحق على أصحابها الغضب والضلال.

فالذين يتشبثون بإقحام النص العام لمعنى خاص وبدليل ظني الثبوت في هذه الآية لادليل لهم، وقد أخذ المفسرون بعضهم من بعض دون تثبت؛ وخاصة في أمر جوهري يؤدي إلى صراع كبير ضمن المجتمع الواحد، وعلى المستوى الدولي، ولو أن الحديث صح جدلاً وكان الراوي ثقة لاقدح فيه من أحد فهو قد

ورد بسبب خاص وهو حوار جرى بين النبي ﷺ وعدي بن حاتم، وأدى الحوار إلى ذكر ماكان عليه النصارى من ضلال لإقناعه ليدخل في الإسلام وقد دخل وحسن إسلامه.

وفي هذا الأمر لانجد في ترك الحديث المضطرب حرجاً وإبقاء العام على عموميته ليشمل كل منحرف عن الحق، ضال بعد علم، فيتحقق عليه الغضب لضلاله.

وإن بعض المتشنجين المعاصرين يريدون تأكيد هذا التخصيص ويقحمون هذا الأمر كأنه أمر قطعي الدلالة قطعي الثبوت، ويعتبرون ذلك موقفاً عادياً وفيه الثبات على الحق ضد اليهود والنصارى ولايتحولون عنه ولايتثبتون من الأدلة حقداً من عند أنفسهم، وإثارة للفتنة وإشعالاً لنار العداوة.

والحكمة تقتضي وبعد أن نثبت بشكل علمي بطلان الحديث في تخصيص اللفظ نجد أن القرآن ذكر النصارى في قوله (ولتجدن أقرب الناس مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى)، وقد استقبل النبي ﷺ في المدينة المنورة وفي مسجده النبوي الشريف وفد نجران النصارى، فلو كان النبي يحتم على المواقف الثابتة التي يدعيها هذا المتشنج لما استقبل النبي ﷺ أولئك النصارى.

وكذلك تخصيص الضالين بالنصارى فقط مخالفة لقول الله تعالى: ﴿ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا﴾.

فالغضب والضلال لهما عموم اللفظ في كـل عمـل منحـرف يستوجب الضلال ويؤدي بصاحبه إلى غضب الله ، وهو يشمل كل انحراف عقدي وسلوكي يخالف الإسلام كلياً أو جزئياً .

ماهو الإسلام الحقيقي الذي أنزل من السماء عبر القرآن العظيم

قال الله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾.

فما هو هذا الإسلام؟ إنه عقيدة وعبادة ومنهج حياة للفرد والمجتمع، وعقيدة الإسلام ليست معقدة البنية، وأدلتها عقلية ونقلية معاً فالإيمان بالله عز وجل الخالق المبدع لهذا الكون والإنسان والحياة. والإيمان بالأنبياء جميعاً الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم بخاصة والإيمان بالرسول محمد ﷺ رسولاً ونبياً وخاتماً للأنبياء، وكذلك الإيمان بالرسل أولي العزم إبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام ونوح عليه السلام.

والإيمان إجمالاً بالتوراة والإنجيل والقرآن كما جاء ذكرها في كتاب الله بأنها نور وهداية ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[1] وقال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾[2].

والإيمان باليوم الآخر وهو يوم الحساب لتحقيق كامل العدالة فيه، والإيمان بالقضاء والقدر (فيما لا دخل للإنسان به وحيث

---

(١) المائدة/ ٤٤.

(٢) المائدة/ ٤٦.

لايعلم الغيب، وبعد حصول الأقدار يرضى بها وهي تزيد الإنسان طمأنينة وسكينة) والإنسان مكلف بالعمل مع الحرية الكاملة ضمن مشيئة الله الكلية التي لايتم شيء في هذا الكون إلا بها والتي بها خلق الإنسان وألهمه الخير والشر ليختار بإرادته مايريد (فألهمها فجورها وتقواها)، فيجزى على الخير خيراً ويعاقب على الشر عقوبة.

وأركان الإسلام هي:

١ ـ (شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله).

٢ ـ إقامة الصلاة.

٣ ـ إيتاء الزكاة.

٤ ـ صوم رمضان.

٥ ـ الحج لمن استطاع إلى بيت الله سبيلاً.

وأركان الإيمان:

١ ـ الإيمان بالله ٢ ـ الإيمان بالرسل (والإيمان بالرسول محمد ﷺ خاتماً للأنبياء والرسل) ٣ ـ الإيمان بالملائكة ٤ ـ الإيمان بالكتب السماوية (التوراة والإنجيل والقرآن) ٥ ـ الإيمان بيوم القيامة ٦ ـ الإيمان بالقضاء والقدر.

وهذه الأركان أدلتها من الكتاب والسنة جاءت واضحة؛ آمن بها كل المسلمين وأجمعت الأمة على كونها أركاناً هامة من

اعتقد بها وعمل بما فيه أمر بالعمل كالصلاة والزكاة والحج والصوم فهو مسلم، وإذا آمن إيماناً يقينياً بأركان الإيمان بالأدلة القرآنية والعقلية فهو مؤمن.

وإن الذين آمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبالقرآن دستوراً وبمحمد ﷺ رسولاً ونبياً وصدقوا بكل ماجاء في كتاب الله عز وجل وتدبروا آياته فلهم الجنة، وترتقي درجاتهم في الجنة حسب تقواهم واجتهاداتهم في العبادة والممارسة والالتزام بتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. وكلما حاولوا التخلق بأخلاق القرآن وأخلاق الرسول ﷺ كانوا أرفع درجة حتى يصلوا إلى درجة الأبرار والمتقين.

وأما الذين يؤمنون بالله ورسوله وبأركان الإيمان والإسلام ولم يلتزموا فهؤلاء مسلمون ولكنهم لم يصلوا إلى درجة المؤمنين. وسماهم القرآن (ظالم لنفسه).

والمسلم الحقيقي هو الذي يحاول بذل كل جهده للالتزام بتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية بسلوكه وأخلاقه ومعاملاته في كل شؤون حياته.

ولابد له أن يتفقه في الدين قال رسول الله ﷺ (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) وفقه الدين ليس فقط مادة الفقه وإنما هي جزء من الفقه في الدين، وإنما المعنى أن يفقه مقاصد الشريعة، وطرق

المعاملات، والتخلق بأخلاق الدين كاملة. وأحكام كل ذلك، والعلم فريضة إسلامية، ويقسم العلماء العلم إلى علمين فرض عين وفرض كفاية؛ فالعلم الديني الضروري كعلم كيفية الطهارة والوضوء والصلاة والصوم والحج والزكاة والأدلة اليقينية في العقيدة فهو فرض عين على كل مسلم ومسلمة.

والعلوم العامة الضرورية للأمة كالطب والهندسية والفيزياء والكيمياء وكل العلوم الإنسانية هي فرض كفاية إن قام بها بعض المختصين لتفي بحاجة الأمة لقوتها وسعادتها سقطت العقوبة عن الأمة، وإن قصرت الأمة المسلمة بهذه العلوم أثمت الأمة كلها لأن فيها فوات لمصلحة الأمة وإضرار بسعادتها.

والمسلم لابد له من تلاوة القرآن مع التدبر والفهم والتفسير ليتعلم وليتعبد بتلاوة القرآن العظيم ويتقرب إلى الله عز وجل بمعرفة مراد الله من كتابه.

والمسلم لابد له من معرفة سيرة النبي ﷺ وأخلاقه وأحاديثه الصحيحة والتأسي والاقتداء بالنبي ﷺ لقول الله تعالى: ﴿ولكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ وذلك التأسي بالأمور المتعلقة بالدين، وأما ماكان من الجبلة والعرف كاللباس وطريقة المأكل والمشرب فهذا مستحب وليس واجباً، وخاصة للناس الذين يعيشون مجتمعات غير إسلامية.

والمسلم لابد له من معرفة أحكام الزواج وأحكام الأسرة وأخلاق الإسلام مع الزوجة والعدل والرحمة مع الزوجة والأولاد، وبر الوالدين ومحبة الأرحام وزيارتهم والإنفاق عليهم مع القدرة.

والمسلم لابد له من معرفة المعاملات المالية والعقود وآدابها الإسلامية وتحريم الربا وبعض المستجدات التي تتنافى مع مقاصد الشريعة الكلية.

والمسلم لابد له من معرفة الحلال والحرام في المأكل (لحم الخنزير - الميتة..) والملبس (لبس الحرير) والمشرب (شرب الخمور - المخدرات).

والمسلم هو إنسان مخلوق لعبادة الله عز وجل والعمل بشريعته والالتزام بالاستقامة وحب الخير لكل بني البشر والحياة الكريمة ضمن منهج الله عز وجل وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

والمسلم يؤمن بكل الأنبياء (إبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام وبكل الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم ولايفرق بين أحد منهم كما قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[1].

والمسلم يؤمن بالكتب السماوية كلها إجمالاً لاتفصيلاً (وخاصة الإنجيل والتوراة لما جاء فيها من تحريف وزيادة وتزوير)

---

(١) البقرة/ ٢٨٢.

ويؤمن بالقرآن كاملاً ، وعليه معرفته وتاريخ جمعه وتدوينه وأسباب نزوله وتفسيره بقدر الجهد ﴿لايكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ .

والمسلم هو إنسان يتخلق بالأخلاق الكريمة كالصدق والأمانة والوفاء بالوعد والعهد والإيثار والتواضع وسلامة الصدر من الحقد والغل ، والشجاعة ومساعدة الغير صغيراً كان أو كبيراً ، والرحمة لكل بني البشر ، وبذل المعروف ، وإغاثة الملهوف ، والإحسان إلى الجار وصلة الرحم ، وبر الوالدين واحترام الكبير والرأفة بالصغير والإحسان إلى الضعيف والفقير والعاجز والأعمى والمريض وابن السبيل والمريض وغيرهم .

والمسلم يحب الخير لكل البشرية ، ولذا لابد له من الدعوة إلى الله ليدل الناس على الله وعلى رسوله وكتابه ليدعوهم للنجاة والسعادة في الدارين وخاصة أهله وجيرانه وأصدقاؤه ومعارفه .

والمسلم هو إنسان ملائكي في أخلاقه ، عالم حكيم رحيم خلوق مهذب رؤوف لطيف محسن لايستغيب الناس ، ولايمشي بالنميمة ، ولايكذب ولايخون ولايحتقر أحداً ولايستهزئ بمخلوق ولايؤذي أحداً من إنسان أو حيوان أو نبات .

ولايشهد الزور ولايقتل النفس التي حرم الله قتلها ، ولايسرق ولايزني ولايحسد ولايبغض ولايحقد ولايتعدى على حقوق الآخرين ، ولايظلم ولايرضى بالظلم ، ولايتكاسل في

كسب الرزق ولا يتهاون في عمل أسند إليه، ولا يغلظ بالقول لأحد، ولا يتجبر على الناس ولا يتكبر ولا يتعالى ولا يفتخر.

وقد بين القرآن صفات المسلم في كثير من الآيات ومنها:

قال الله تعالى: ﴿وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد﴾.

وقال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[3].

وقال الله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل

---

(1) البقرة/ ٨٣.

(2) الفرقان/ ٦٣.

(3) البقرة/ ١٧٧.

عليهم الملائكة ألا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم في الحياة والدنيا والآخرة ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلاً من غفور رحيم ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ولاتستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ومايلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ .

المسلم وأهل الكتاب

المسلم يؤمن بالكتب المنزلة إجمالاً ولذا لابد له من معاملة أهل الكتاب بالتي أحسن ﴿ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ .

وقال تعالى : ﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم﴾ .

وقال تعالى : ﴿ولتجدن أقرب الناس مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾ وهناك أحاديث كثيرة في هذا الموضوع .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المراجع والمصادر

القرآن الكريم	
الله والعلم الحديث	د. عبد الرزاق نوفل
الإسلام والعلم الحديث	د. عبد الرزاق نوفل
القرآن والعلم الحديث	د. عبد الرزاق نوفل
الحياة الأخرى	د. عبد الرزاق نوفل
الطب محراب الإيمان	د. خالص جلبي
القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم لدراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة	د. موريس بوكاي
قصة الإيمان	الشيخ نديم الجسر
الدين والعلم الحديث	عبد الكريم الخطيب
تأملات علمية	د. عز الدين فراج
معالم الطريق إلى الله	محمد أبو الفيض المنوفي
الله	عباس محمود العقاد
الإنسان مخلوق لا مصادفة	البرفسور باول لوث ت. الأستاذ عمر لطفي العالم
كبرى اليقينيات الكونية	د. محمد سعيد البوطي

العقيدة الإسلامية وأسسها	د. عبد الرحمن حبنكه الميداني
عقيدة المسلم في ضوء القرآن والسنة	الشيخ خالد العك
العقل والعلم في القرآن الكريم	د. يوسف القرضاوي
الإعجاز العلمي في القرآن الكريم	د. حميد النجدي
الجغرافيا القرآنية	فوزي حميد
هل الله موجود	الشيخ بشير المفشي
سبعون برهاناً على وجود الله	خليفة بن عليوي
الله يتجلى في عصر العلم	مجموعة مؤلفين
الله والعلم الحديث	كريسي موريسون
فلسفتنا	محمد باقر الصدر
تهافت الفلاسفة	الغزالي
تهافت التهافت	لابن رشد
الإسلام كبديل	مرادهوفمان
النبأ العظيم	د. محمد عبد الله دراز
تجديد التفكير الديني في الإسلام	محمد اقبال
توحيد الخالق	عبد المجيد عزيز الزنداني
العلمانية أو فلسفة موت الإنسان	محسن العلي
مع الله في أعماق النفس الإنسانية	د. ضياء الدين الحماس

دعوة الإيمان في القرآن وفي كتب أهل الكتاب	د. أسعد محمد حومد
العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر	د. محمد سعيد البوطي
قضية الألوهية بين الفلسفة والدين	عبد الكريم الخطيب
تاريخ علم الفلك في العراق	عباس العزاوي
الله ذاتاً وموضوعاً	عبد الكريم الخطيب
الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي	د. محمد البهي
قضية الخلق بين الماديين والمثاليين	عبد الرسول مهدي غبره
الإعجاز العلمي في الإسلام	محمد كامل عبد الصمد
تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم	عبد المنعم السيد عشري
محمد رسول الحرية	عبد الرحمن العشماوي
القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يختلفان	حسن الباش
الأدلة المادية على وجود الله	محمد متولي الشعراوي
معجزة القرآن	محمد متولي الشعراوي
براهين	محمود القاسم
العالم غير المنظور	د. علي عبد الجليل راضي
الحاسة السادِسة	شيلا اوستراندر لين شرودر
هل محمد عبقري مصلح أم نبي مرسل	د. محمد شيخاني
الإسلام والإيمان	د. محمد شيخاني
التربية الروحية بين الصوفية والسلفية	د. محمد شيخاني

الفهرس

